دلالة المحاكاة عند ابن جني

الدكتورة

نجلاء محفوظ العبسي

المدرس بقسم أصول اللغة بكلية

الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية

الأستاذ المساعد بكلية التربية والآداب

جامعة تبوك

بسم الله الرحمن الرحيم

توطئة:

الحمدُ لله رب العالمين وصلاةَ وسلاماً على خير البريّة نبينا محمد صل الله عليه وعلى آله وصحبه المخلصين ..

إنَّ الدّلالةَ هي الغايةُ من وراء كل تعبير، وهي في التعبير الإراديّ المسموع أوضح منها في غيره من ألوان التعبير الأخرى، فما تركيبُ الأصوات في كلماتٍ وتأليف الكلمات في جملٍ إلا لتحقيق تلك الغاية، ولقد أدرك قدماؤنا – من اللغويين العرب ذلك –، حينما قرَّر ابنُ جني أن اللغة "أصواتٌ يعبّر كلُّ قومٍ عن أغراضِهم"(١) – ووافقه سائرُ القدماء من علماء اللغة العرب – ومتى استقام التعبيرُ وسار به المتكلمُ على نَهْجِ قومه ، والتزم بما التزموا به وتحرّى ما تحروه حقَّق مراده واتضح غرضه، وفهم النّاسُ مقصده ، فإذا ما انحرف عن نهج القوم ضلَّ سبيله ، ولفَّ كلامه الغموض ، وحار السامع في فهم مقصده .

فالدّلالةُ مرتبطةٌ بالألفاظ أوثق ارتباط ، وتُعَدُّ البحوثُ اللغوية المتعلقة بالدّلالة من أقدم البحوث اللغوية على الإطلاق ـ عند العرب والغرب – الذي كانت تنضوي قضايا اللفظ والمعنى عندهم –الغربيين – تحت اسم (Semantics) (علم الدلالة أو علم المعنى) والذي استعملت لأول مرة في اللغة الإنجليزية ،حين ترجمت مسز هنري كست (Miss Henry Cuts) عمل ميشيل بريال (Michel Breal) – وهو أول من جعل لهذه الكلمة الاستعمال الفعَّال في علم اللغة مخصّصاً إيّاها للقوانين التي تحكم تغيرات المعنى – وهي مقالة له نشرت عام ١٨٩٧م، بعنوان: "مقالةٌ في علم الدّلالة، علم المعاني".

(١) ينظر: الخصائص لابن جني ٢/ ٣٣.

ولقد كانت مسائل العلاقة بين الألفاظ ومعانيها من أهم ما شغل فلاسفة اليونان الأقدمين، وخلفائهم من الرومان في أوربا في العصرين القديم والمتوسط(١).

وقد تأثر البحثُ الدّلاليّ عند هؤلاء بالمنطق والفلسفة اليونانية إلى حدٍّ كبير، و كانت العلاقةُ بين الألفاظ ومدلولاتِها هي المحور الرئيس الذي شغلت بالهم.

يقول أولمان: "أخذت الصعوبات تتوالى على مبحث علم الدّلالة؛ لتدخل كثير من العلوم فيه؛ كالمنطق والبلاغة، وعلم الاجتماع وعلم النفس والفلسفة؛ لأنَّ هذه الكلمة أخذت توظّف (Things Signified) (٢).

فما الدراسةُ الصوتية إلَّا لتحقيق الدقة في إخراج الأصوات من مخارجِها، وإعطائها صفاتها. ولقد نالت الدّلالةُ حظاً وفيراً من الدّراسة في البحث اللغويّ عند العرب، فعند التحقيق نجد الدراسات اللغوية في مجموعِها تسعى إلى أن تكون الألفاظُ والتراكيبُ بالغةَ الدِّقة في دلالاتها.

حتى لا يحلّ صوتٌ محل صوت؛ فتختل الدّلالة. وما الدراسةُ الصرفية إلا لضبط البنية والصيغة من أجل الدّلالة؛ لذا كان بحثهُم عن معاني الصيغ ودلالات الوحدات الصرفيّة المختلفة.

وكذلك الأمر بالنسبة للدراسة النحوية، فإنَّ تأليفَ الكلمات وتركيبَ الألفاظ على نحو معين تقبله الجماعة اللغوية وتستسيغه يحقق للمتكلم ما يريده من التركيب.

ومن القضايا المهمة التي شغلت حيّزاً كبيراً في البحوث اللغوية عند العرب، قضية العلاقة والمناسبة بين الألفاظ ومعانيها ... فنجد الجاحظَ يؤكد عضويّة العلاقة بين اللّفظ والمعنى فيقول: "اللفظُ للمعنى بدنٌ، والمعنى للَّفظِ

(١) ينظر: مدخل إلى علم اللغة الحديث د. عبد الفتاح البركاوي ص ١٧٢، القاهرة ١٩٨٤م.

(٢) The Principles of semantics: pp. 1-3.

روحٌ... ولا يكون اللفظُ اسماً إلا وهو مضمَّن بمعنى، وقد يكون المعنى ولا اسم له ، ولا يكون اسمٌ إلا وله معنىً"(١).

ويرى كثيرٌ من اللغويين – العرب – أن كثيراً من ألفاظ اللّغة تدل على معناها دلالة ذاتية محاكاتية، فاللفظُ بما اشتمل عليه من أصواتٍ يدلُّ على معناه دلالةً لا تحوج السامع إلى الاستفسار عنها، إذ يفهم المراد باللفظ بمجرد سماع ما يتركب منه من أصوات، وهذا يعني أنَّ الدلالةَ طبيعية، أو كما سمّها بعضُ الباحثين دلالة صوتيّة(٢) أو ذاتيّة، ويرى البعضُ أنَّ وضعَ اللغاتِ تسميّة الأشياء بمسمياتها (المحاكاة الصوتية) ليست عملية انفعالية مباشرة؛ فتكون التسمية فجائية ينتبه إليها الإنسانُ بعد أن يصدرها، فيكرّسها للشيء الذي يعاينه؛ بل هي أسماء لها بعض شبه بما يسمع، يقول الجرجاني في مفهوم المحاكاة: "... وذلك أنَّ الحاكي هو من يأتي بمثل ما أتى به المحكيّ عنه"(٣).

"أنوماتوبي" و"المحاكاةُ " كلمةُ يونانيةُ معناها "وضع الاسم"، ويجعلونها باباً من أبواب البيان ... (٤)، فلقد كانت المحاكاةُ اللغوية بين الدّال والمدلول تنطلق من خلفيّات فلسفية كلّ بحسب ما يخدم نظريَّته الفلسفية أو الكلامية.

فالفيلسوف (أفلاطون ٣٤٧ ق. م) أصرَّ على وجود علاقة بين الدَّال والمدلول؛ فنجده يربط منهجَه الجدليّ في كشف الحقيقة اللغويّة بالطبيعة، ويتضح لنا ذلك من خلال محاورات كراطيلوس على لسان "سقراط" الذي

(١) ينظر: الرسائل (الموسوعة الشعرية ، ق . م) "رسالة في الجد والهزل" مادة البحث "ل ف ظ".

(٢) ينظر: دلالة الألفاظ د. إبراهيم أنيس ص٤٦.

(٣) ينظر: دلائل الإعجاز في علم المعاني للجرجاني (الموسوعة الشعرية، ق. م) "المحاكاة والنظم" مادة البحث "ح ك ي".

(٤) ينظر: دائرة المعارف ٧/ ١٢٤ بطرس البستاني.

يناقش "هرموجينس" في مسألة نشأة اللغة[١] والتي تجسدت فيها فكرة المحاكاة؛ لتعبرَ عن فهمِه لنشأة اللغة، وعن الكيفية التي تجري بها عملية التسمية والتي اعتاد النّاسُ على استعمالِه. والذي يعطي وجهاً من الحقّ والصّواب هو أنّها نفسها عند الهيلنيين (Hellenes) والبرابرة (Barbarians)"[٢].

يقول يسبرسن :" إنَّ فكرةَ المناسبة الطبيعية بين الصّوت والمعنى، وأنَّ الكلمات تكتسب محتواها وقيمتها من خلال رمزيّة صوت معيَّنة كانت لها دائماً الأفضليّة في الاهتمام اللّغويّ ، وأكثر الأمثلة شهرة على ذلك ما جاء في كراطيلوس أفلاطون (Plates Kratylus)[٣].

حيث جعل أفلاطون الحروف تحاكي الطبيعة، وضرب لنا أمثلةً كثيرةً، منها :" أنَّ الحرف (رو) P يعبِّر عن السّرعة والحركة والصَّلابة،... وأنَّ الحرف (لمدا) λ يعبّر عن الملامسة والنعومة"[٤].

بل ولقد بالغ أفلاطون إلى الحدّ الذي يرى أنَّ الأسماءَ التي قد تبدو غير محاكية هي بحقيقتها محاكية، غير أنَّ الزمنَ يفعل فعلَه في توسيعِ المسافة بين الكينونة الأصلية للاسم، والصيرورة التي أصبح –بطبيعة الحال– لا تكون لشعب دون آخر؛ حيث تتلاقح اللغاتُ فيما بينها؛ فيكون أثرُه جلياً على طرائق التعبير، وبالنتيجة على كيفية النطق بالأسماء.

يقول سقراط: "لكنك تعلم بأنَّ الأسماءَ الأصلية قد نُسيت وأخفيت منذ زمنٍ بعيد بسبب إضافة النّاس أو حذفهِم حروفاً من أجل تسهيل النّطق،

---

(١) محاورة كراتيليوس أفلاطون ترجمة: عزمي طه السيد أحمد ص ٩١.

(٢) السابق نفسه.

(٣) Jespersen, Language its nature, Development and origin, George Allen8 Unwin Ltd, London 1947: P.386

وينظر – أيضاً– في فلسفة اللغة، كمال يوسف الحاج صـ٢٠.

(٤) ينظر: محاورة كراتيليوس أفلاطون ص ١٩٦.

فيشوّهونها ويبهرجونها بكل أنواع الطُّرق، وربّما كان للزمن أيضاً نصيبٌ في حدوث التغيير"[١].

وتستمر قضيةُ الدّلالة المحاكاتية حتى جاء القَّرن الثاني الهجريّ – والذي يمثِّل البدايات الرَّائدة؛ لإدراك صلة الأصوات بمعانيها – على يد علماء اللغة العرب، حيث مال أكثرُ اللغويين إلى القول بالصّلة الطبيعيّة بين الدّال والمدلول؛ حيث دفعهم الاعتزاز الشديد باللغة العربية إلى تلمّس العلاقة بينهما، والحرصِ على كشف أسرارِها وخباياها، ويعدُّ الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ) وتلميذه سيبويه (ت ١٨٠هـ) من الذين أولوا عنايةً بهذه الدراسة.

فسيبويه ما من مسألة نحويّة يتناولها بالتحليل إلّا ونجده يربطُ بين التغيّرات التي تحدث على مستوى اللّفظ وبين ما ينتج عنها من تعديلٍ أو تحويرٍ على مستوى المعنى، فنجده يقول: "ومن المصادر التي جاءت على مثال واحد، حين تضاربت المعاني قولك: النَّزَوان والنَقَزان، وإنما هذه الأشياء في زعزعة البدن واهتزازه في ارتفاع ... ومثله الغَثَيان؛ لأنّه تجيش نفسه وتثور ..."[٢]، كما أنَّ الخليل بن أحمد كان يحاول إقامةَ جسر من العلاقة بين اللّفظ ومدلوله، فنجده يقول – أيضًا –: "كأنَّهم (العرب) توهموا في صوت الجندب استطالة ومدا، فقالوا صرَّ، وتوهموا في صوت البازيّ تقطيعاً فقالوا صرصر"[٣].

ولقد كانت المراتبُ التي قامت عليها نظرية المحاكاة عنده، مرتبة المحاكاة الصوتية، وتشمل ملاحظة تسمية الأشياء بأصواتها، ومرتبة المحاكاة البنائية، وذلك بتصوير هيكل اللّفظ وجملة دلالته حاكياً مدلوله بمجرد قالبه اللغويّ المحسوس، فمن ذلك المصادر التي على وزن فَعَلان؛ للدلالة على الحركة و الاضطراب؛ كالغليان والفوران والغثيان، ومرتبة المحاكاة

(١) ينظر: السابق ص ١٤٥.
(٢) ينظر: الكتاب لسيبويه ٢/ ٢١٨.
(٣) ينظر: الخصائص ٢/ ١٥٢، وتهذيب اللغة للأزهري حرف (ص. ر . ر).

التعاملية، والتي تقوم على ضرب من تعامل دلالة الأصوات الفيزيائية ودلالة الهيكل الوزني لقوالب الألفاظ(١)، وأيضاً ما يتنزل على مستوى التركيب السياقي.

ويجدر الإشارة إلى أن "ابن جني" كان من المتحمسين لفكرة الصّلة الذاتيّة بين اللّفظ ومدلوله؛ فنجده يعبّر لنا عن اغتباطِه بهذا المذهب فيقول: "وهذا عندي وجه مذهب صالح ووجهٌ متقبل"(٢).

كما وقف في "خصائصه" على معاني الحروف، وأعطى لذلك أهميةً كبيرة في بناء التركيب اللفظيّ، فإنّنا معه نمارس تجربةً فرديَّةً فنتحسَّس – فعلاً – المعاني التي أعطاها للحروف، فنلمس ذلك في تكرار الرّاء، وشدَّة القاف على الخاء، وانتشاريّة الثاء والشين ...إلخ.

"فابنُ جنيّ" يرى تلك المناسبة (المحاكاة) تتجلّى وتتضح في كثيرٍ من الصور وعديدٍ من الأشكال، فاستبعد أن تكون من قبيل المصادفة غير المقصودة؛ ولهذا نجده قد عقد لهذه الفكرة فصولاً أربعة في كتابه "الخصائص" متلمساً هذه الصّلة فيما يعرض له من ظواهر صوتيّة معتمداً على قوة في التصريف أورثته دقة النَّظر في الأصوات، وجرْس الحروف طبع في ذهنه دلالات خاصة لطول مخالطته، وكثرة تعامله بها ومعها، وهذه الأبواب هي: تلاقي المعاني على اختلاف الأصول والمباني(٣)، وإمساس الألفاظ أشباه المعاني(٤) وتصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني(٥) والاشتقاق الأكبر(٦).

(١) العين للخليل بن أحمد الفراهيدي ١/ ١٠.
(٢) الخصائص ١/ ٤٢.
(٣) الخصائص ٢/ ١٦٤ وما بعدها.
(٤) السابق ٢/ ١٥٢– ١٦٨.
(٥) السابق ٢/ ١٤٥– ١٥٢.
(٦) السابق ٢/ ١٣٣– ١٣٩.

والواقع أن التفسير الطبيعيّ لنشوء اللغة هو الدافع الفعليّ لكل عمله اللغويّ؛ حيث انصرف ابنُ جنيّ إلى الاهتمام بمدى قدرة اللّغة العربيّة على التعبير عن الأشياء بصورة طبيعيّة، وهذا ما تبدَّى عنده في كلامه على الاشتقاق بوجهيه (الأصغر والأكبر)، كما أنّ المحاكاة كانت المبدأ الذي كشف لابن جنيّ إمكانات نظرية الاشتقاق العربيّ، حتى وصل به التأصيل في الرؤية إلى أن تحدَّث في معاني الحروف ومحاكاتها للطبيعة.

سببُ اختيار البحث

قد وقع اختياري لهذا الطرح لأسباب عدَّة، منها: أنَّ اعتبار النشأة اللغويّة نشأة طبيعية –عند البعض– صادرة عن محاكاة الإنسان للطبيعة قد يكون محفّزاً لدراساتٍ أكثر عمقاً في كشف مظاهر النشأة الإبداعية للغة العربية، بخاصة وأن تراثنا غنيٌّ بالتنظير اللغويّ الذي لابد أن يكون له امتدادٌ طبيعيّ؛ كي ينتجَ لدينا نظرية في اللغة العربيّة المعاصرة، كما أنَّها دلالةٌ على أصالة اللّسان العربيّ، وعراقةِ الإنسان العربيّ وتجذّره الحضاريّ في امتلاك اللّغة الحقيقية، أي تلك التي تقول كلَّ شيء؛ لأنَّها نابعة من الصّلة الوثيقة بين الإنسان والأشياء؛ إذ إنَّ الأصواتَ هي صدى وجدانها في النَّفس. وأيضاً من أجل بيان أصالة اللّغة العربيّة (الأم) بين اللّغات، ومن ذلك ما ذهب إليه عبدُ الحق فاضل، الذي اخترع ما سماه بـ "الترسيسُ اللّفظيّ"، وهو منهجٌ تأصيليٌّ يعمد إلى البحث في علاقة الكلمة بذاتها الذي تمكّن من خلاله كشف الصّوت الطبيعيّ المحاكيّ الأول بحيث يكون الصوتُ الطبيعيّ– الغريزيّ في بعض الأحيان – هو الأصل في كثير من التقليبات والإبدالات التي اشتقَّت منها ألفاظ عديدة ترجع كلها إلى أصل واحد وأرومة واحدة، والذي يمكّنه من إدراك العلاقة الأولى بين الحروف، فيقدر عندها من عقد مقارنات بين الألفاظ بناءً على ما تحصَّل لديه من تاريخ تطوريّ للّفظة، فقد كان يضع لفظةً ويضع مقابلها الأجنبيّ، ويحاول أن يبحثَ عن الرسَّ المكوّن لهذا الأصل اللغويّ؛ فيكتشف أنَّ مردَّه – كيفما دارت به اللهجات واللّغات العالميّة – إلى مصدر واحد هو الصوت العربيّ[1]، ومن أمثلته للدلالة على أصالة الصّوت العربي بين الأصّوات البشريّة كلِّها، صوت الفرُّوج العربيّ، إذ يبدأ عبدُ الحق فاضل من صوت الفرخ " صي صي صي ...".

(١) ينظر: مغامرات لغوية عبد الحق فاضل ص ١٧٧.

ومنه انبجست أفعالٌ عربيّة وتطوَّرت على النحو التالي: (صاء) فأصبحت (صات)، و(صاح)، ثم (صحل) ..." ثم ينتقل ليقارنَ بين اللّغات، فيجد تأثيرَ صوت الفروج العربي – هذا– في لغة الأوربيين، ففي اللاتينية، ويبرر إضافة النون في اللّفظ الأول بتأثر الأوربيين بعادة العرب في (Soon) و(Conium) .

ذلك مثل: جدل وجندل ... إلخ[1]، فهو يعتمد التأصيل للعودة إلى الجذر أو الرسّ من الصوت المكوّن للكلمة وطريقة نطقه إلى مرحلته المحاكاتيّة، فلكي يبرِّر الصّلة بين أرميّ وعربيّ يتحدث عن مخرج الباء والميم، فيقول: "ومخرجُ البَّاءِ قريبٌ جدا من مخرج الميم في الفم، فلو سددتَ أنفك وقلت (ماما) لخرجت من شفتيك (بابا)... أو قلت (أرميّ) لجاءت من فيك (أربيّ)"[2].

كما أنَّ للمحاكاةِ تأثيراً كبيراً في نشأة اللّغة العربيّة ، بحيث إن أيّ تطوُّرٍ ممكن أن يحدثَ في بنية اللّغة العربيّة لابد من أن يكون تطوراً فطرياً ذلك؛ لأنّ المحاكاة ستبقى هي العنصر الخفيّ وراء كل تغيُّر يحدث في اللّغة العربيّة.

فطاقةُ اللّفظة العربية طاقة ذاتيَّة قادرة على التعبير في أي ظرف معيشيّ، كما أنَّ للمحاكاةِ دوراً في صناعة المعجم العربيّ – ذلك المنتوج الجمعي لألفاظ اللّغة وتوليدها –، فهي الحركةُ الإنتاجية التي تحقّق الثروةَ المعجمية في اللغة العربيّة؛ لما يتضمنه من إمكانات التقليد والتوليد ...

❁❁❁❁❁

(١) السابق نفسه ص ١٩٧– ١٩٨.

(٢) السابق ص ١٠.

حدود البحث

لهذا البحث حدٌّ موضوعيّ، وهو ما تركه ابنُ جني في مؤلفاته من آثار لهذا العلم خصوصاً مؤلفة "الخصائص"، وما جرى من إشارات من علماء الدرس اللساني تنويهاً بابن جني.

منهجُ البحث

اعتمدت على المنهج الوصفي التحليلي لدلالة الفظة وعلاقتها بالمعنى علاقة ذاتية محاكاتية. بينت فيها ما وصل إليه ابنُ جنيّ في الدرس الدّلالي من جهود تتعلق بهذا الطّرح.

هيكلُ البحث

وقد انتظم البحث في: توطئة ومبحثين تفوقهما خاتمة ونتائج.

أما **التوطئة** فعرضت فيها موضوع البحث، وأهميته، وسبب اختياري له، وحدوده والمنهج والخطة الموضوعة؛ لنسبرَ من خلالِها إلى إظهار مدى تأثير المحاكاة في تكوين نظريّة العلاقة بين اللّفظ والمعنى عند اللغويين وغيرهم عامّة، وابن جني خاصّة (موضوع البحث) الذي يعدُّ مؤسساً لنظرية المحاكاة في اللّغة العربيّة.

المبحث الأول: الدلالة المحاكاتية، ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول : مفهوم المحاكاة ..

المطلب الثاني : أنواع الدّلالة عند ابن جني

المطلب الثالث: العلاقة بين الدّال والمدلول

المبحث الثاني: مظاهر الدلالة المحاكاتية للصوت (مفرداً ومركباً) على مستوى الصيغة عند ابن جني، ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: إمساس الألفاظ أشباه المعاني ويشتمل على خمسة أفرع :

الفرع الأول: محاكاة الصوت (تسمية الأشياء بأصواتها)

الفرع الثاني: محاكاة طبيعة الأحداث والأشياء

الفرع الثالث: محاكاة الحركة

الفرع الرابع: محاكاة قوة الأحداث أو كثرتها .

الفرع الخامس: محاكاة ترتيب الحدث

المطلب الثاني: تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني ويشتمل على ثلاثة أفرع:

الفـرع الأول: كلمات ثلاثية متفقة في صوتين متضارعة في صوت واحد.

الفـــرع الثـــاني: المضارعة بالأصوات الثلاثة أصول المادتين المتقاربتين في المعنى

الفرع الثالث: تقارب اللفظين باتحادهما في حرفين ، واختلافهما في حرف واحد.

الفـرع الرابـع: المضارعة في الأصل الواحد بالحرفين ، بأن يتفق اللفظان الثلاثيان في صوت واحد ويختلفان في صوتين متقاربين في المخرج.

المطلب الثالث : الاشتقاق الأكبر

أما **الخاتمة** ففيها عرضت ملخصاً للبحث، وأهم نتائجه وتوصياته.

وأخيراً فإنني لا أدّعي السبق في الغور في هذا الميدان من الدراسة؛ وإنما مهَّد الطريقَ لي علماء أجلاء – قدماء ومحدثون – قدموا ثمرةَ جهودهم وقرائحهم لنا دروساً أعانتي كثيراً على اجتياز هذا البحث. وحسبي من هذا العمل أني حاولت جهدَ المستطاع، فإن وفقت فيه إلى الصواب – وهذا ما أرجوه – فهو فضلٌ من الله وحده سبحانه وتعالى، وله الحمد أولاً وآخراً. وإن تكن الأخرى، فما هو إلا جهد بشر، والكمالُ لله وحده، ولا قوة إلا بالله.

د. نجلاء محفوظ العبسي
المدرس بقسم أصول اللغة بكلية الدراسات الإسلامية
الأستاذ المساعد بكلية التربية والآداب جامعة تبوك

المبحث الأول
الدلالة المحاكاتية

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول : مفهوم المحاكاة ..

المطلب الثاني : أنواع الدّلالة عند ابن جني

المطلب الثالث: العلاقة بين الدّال والمدلول

المطلب الأول
مفهوم المحاكاة

تدل كلمة المحاكاة في معناها العام على المماثلة والمشابهة في الفعل والقول، ففي لسان العرب: "حَكِيَ الحكاية كقولك حَكَيتُ فلاناً وحاكَيْتُه، فَعَلْتُ مثل فِعْله أو قُلْتُ مثل قَوْله سواءً لم أُجاوزه وحكيت عنه الحديث حكاية وحكوت عنه حديثاً في معنى حكيته، ... يقال: حكاه وحاكاه، وأكثر ما يستعمل في القبح المحاكاة، والمحاكاة المشابهة، تقول: فلان يحكي الشمس حسناص ويحاكيها بمعنى"(١).

وفي القاموس: "أن كلمة المحاكاة مأخوذة من من حكوتُ الحديث أحكوه ... وعنه الكلام حكاية: نقلته، والعقدة شددتها كأحكيتها، وامرأة حكيٌّ كغني: نمّامة ..." (٢).

وقد وردت كلمة المحاكاة مرادفة لكلمة التقليد، وهي اسم مؤنث من فعل يحاكي.

والمحاكاة اصطلاح يوناني ميتافيزيقي استعمله الفلاسفة والمفكرون منذ القدم، لكن المعنى الاصطللاحي لم يستخدم إلا في وقت متأخر، وقد أخذت كلمة المحاكاة من المصطلح الإغريقي Mimesis التي جرت العادة بترجمته إلى "محاكاة بالعربية"، وتعني عند أرسطو "الفن ومحاكاة الطبيعة" "ومن ذلك الفيلسوف الإسباني" جورج سانتيانا Santayana وهو يضرب لنا مثلاً موضحاً فلسفته المحاكاتية فيقول: "لا وجود لجدولين متوازيين، وإنما هناك جدول واحد، وهو في انحداره من فوق صخورٍ معيَّنةٍ، أو في انغماره

(١) لسان العرب لابن منظور، حرف الحاء (ح ك ي).
(٢) القاموس المحيط للفيروزآبادي، باب الياء فصل الحاء (ح . ك . ي).

داخل بُركٍ معيَّنة، يبدأ يبقبق ويزبِد ويُحدث خريراً هو نوع من الموسيقى البهيجة، لكنه لا يفقد بذلك أي مقدار من جوهره، أو يغيّر مجراه ..." [١].

فالمعنى الفلسفي للمحاكاة يتعلق بتأثير الفعل المحاكاتي عموماً إذ "تطلق المحاكاة بوجه عام على التقليد والمشابهة في القول، أو الفعل، أو غيرهما"[٢]، يقول الجرجاني: "وذلك أن الحاكي هو من يأتي بمثل ما أتى به المحكي عنه، ولا بد أن تكون حكايته فعلاً له، وأن يكون بها عاملاً عملاً مثل عمل المحكي عنه"[٣].

ويقول بطرس البستاني عن المفهوم اللغوي للمحاكاة: "يراد بها في وضع اللغات تسمية الأشياء بأسماء لها بعض شبه بما يسمع لها من الصوت أو الحركة أو نحو ذلك، ووضع أفعال لها تقاربها في ذلك ... وهذه الحكاية يسميها الإفرنج (أنوماتوبي) Onomatopoeia وهي كلمة يونانية معناها وضع الاسم، ويجعلونها باباً من أبواب البيان. ولا بد أن استعمال الحكاية بين الأمم قديم جداً، وبها وضعت الألفاظ ومبادئ الاصطلاحات اللغوية، وأمثالها كثيرة في كل اللغات. وإنما وجدت في طبع البشر؛ لأنها أسهل واسطة للتعبير عن الأشياء، وأقوم طريقة للدلالة على الشيء بتصويره للفكر بما يمثل صوته"[٤].

نلاحظ في كلام البستاني السابق تركيزاً على المحاكاة الصوتية في الفعل اللغوي، بحيث تبدو عملية التكلم نتاجاً طبيعياً لهذه المحاكاة، وعملية التسمية تقوم على هذا الفعل المحاكاتي.

---

(١) Georges Santayana, The Realm of Essence, Scribner's, 1927, (Quoted by Paul Edwards and Arthur Pap, A Modern Introduction to Philosophy, The Free Press, New York, 1957, 177)

(٢) ينظر: المعجم الفلسفي لـ جميل صليبا مادة (ح ك ي).

(٣) دلائل الإعجاز في علم المعاني (الموسوعة الشعرية، ف . مد) "المحاكاة والنظم" مادة البحث(ح ك ي).

(٤) دائرة المعارف بطرس البستاني المجلد ٧ص ١٢٤.

وهكذا اتخذت مفاهيم كثيرة لمصطلح المحاكاة ، حسب ميول النقاد ونوازعهم ، فـ "سيدني" يرى: "أنها تعني الأفكار والنماذج الخلقية"، وذهب "جونسون" إلى أنها أمثولة أو خطاباً عن الطبيعة، ويعبر" باثو" عنها بقوله: "إن المحاكاة ليست محاكاة للحقائق اليومية، وإنما هي محاكاة للطبيعة الجميلة، أي أن جمع خصائص المفردات وتكوين نموذج يحتوي على كل ما في الأجزاء من كمال"(١)، يقول ليوناردو دافنشي: "إن أعظم تصوير هو الأقرب شبهاً إلى الشيء المصور"(٢)، ويقول أيضاً: "التصوير هو المحاكي الوحيد لكل الأعمال المرئية في الطبيعة"(٣).

والمحاكاة أيضاً: المشابهة السطحية بين الحيوانات البعيدة بعضها عن بعض من الناحية التشريحية؛ لاشتراكهما في نمط واحد من العيش، أو اضطرارهما إلى التكيف في سبيل الدفاع عن النفس، والمحاكاة هي التقليد اللاشعوري الذي يحمل الإنسان على الاتصاف بصفات الذين يعيش معهم؛ كتقليد حركاتهم وسلوكهم، واقتباس لهجاتهم وأفكارهم، ومن طرق المحاكاة النافعة في الفهم والإفهام طريقة تسمى بـ التمثيل Monique وهي تعبير المرء عن أفكاره بإشارات الأصابع وإيماءات الجفون، وحركات الوجه الممثلة للأشياء(٤).

أما في القرن الثامن عشر فقد استعمل هذا المصطلح بكثرة في الكتابات النقدية، يقول بونج: "المحاكاة نوعان: محاكاة للطبيعة، ومحاكاة للمؤلفين الآخرين، والأولون هم الذين نسميهم أصحاب الأصالة"(٥).

❁❁❁❁❁

(١) فن الشعر إحسان عباس ص ٢٠.
(٢) علم الجمال (قضايا تاريخية ومعاصرة) د. وفاء محمد إبراهيم ص ٩٣.
(٣) السابق نفس الصفحة.
(٤) المعجم الفلسفي جميل صليبا ٢/ ٣٥٠.
(٥) فن الشعر ص ١٩.

المطلب الثاني

أنواع الدلالة عند ابن جني

يُعَدُّ ابن جني من أبرز العلماء الذين تناولوا الدّلالة وأنواعها في فصول متعددة من كتابه (الخصائص)، كما في "باب الرَّد على من ادَّعى على العرب عنايتها بالألفاظ وإغفالها المعاني"[(١)]، و"باب في الدلالة اللفظية والصناعية والمعنوية"[(٢)]، و"باب قوة اللفظ لقوة المعنى"[(٣)].

والدلالة عند ابن جني على ثلاث مراتب في القوة والضعف :

الدلالة اللفظية (المعنى)، وهي عند "فيرث" الدلالة الصوتية الصغرى أو القاصرة Phonetic Function Minor

وهي أقوى الدلالات عند ابن جني، يقول ابن جني في باب الدلالة اللفظية والصناعية والمعنوية من كتابه الخصائص مفاضلاً بينهم: "اعلم أن كل واحد من هذه الدلائل معتدّ مراعى مؤثر، إلا أنها في القوة والضعف على ثلاث مراتب: فأقواهن الدّلالة اللفظية، ثم تليها الصناعية، ثم تليها المعنوية"[(٤)]، والدلالة الصوتية إما ذات دلالة وظيفية مطّردة ، وإما دلالة صوتية غير مطّردة، فأما الدلالة الصوتية المطردة، وهي التي تعتمد على تغيير مواقع الفونيمات باستخدام المقابلات الاستبدالية بين الألفاظ، حيث يحدث تعديل أو تغيير في معاني الألفاظ فكل حرف أو حركة في اللغة العربية يمكن أن يكون مقابلاً استبدالياً، فكما أن الحروف في تبدلها ذات وظيفة فونيمية[(٥)]، كالفرق بين "صعد" و "سعد" والذي يؤديه استبدال السين بالصّاد أو الصّاد بالسين "فجعلوا الصّاد لقوتها مع ما يشاهد من الأفعال المعالجة

(١) ينظر: الخصائص ١/ ٢١٦.
(٢) السابق ٣/ ١٠٠.
(٣) السابق ٣/ ٢٦٧.
(٤) السابق ٣/ ٩٨.
(٥) ينظر: الدلالة اللغوية عند العرب د. عبد الكريم مجاهد ص ١٦٦.

المتجشمة، وجعلوا السّين لضعفها فيما تعرفه النَّفس وإن لم تره العين"[١]، حيث جعل ابنُ جنيّ كلاً منهما فونيماً رئيساً أو أساسياً ...

وهكذا نجد الدّلالة اللفظية أو الصوتية تحمل جرثومة المعنى المعجمي، وأن كلا منها يصلح مقابلاً استبدالياً لغيره من الحروف ، وبالتالي يتغير المعنى بتغيره.

وأرجع ابنُ جنيّ سبب قوة الدلالة اللفظية (الصوتية) عن غيرها من الدلالات الأخرى، إلى أن معرفتها تتوقف على الأصوات المكونة للكلمة "ألا ترى إلى قام ودلالة لفظه على مصدره"[٢] فـ (قام) مثلاً، بوحداتها الصوتية تدل على القيام، فوقفنا على الحدث من خلال لفظ الفعل ... وهكذا كل فعل بأصواته يؤدي معنى الحدث.

الدّلالةُ الصّناعيّة، وهي دلالة البناء أو الصيغة الصرفية، فدلالة "قام" (بحروفه) دلالة وظيفية مطردة على القيام والحدث[٣] دلّت على المضي بالإضافة إلى دلالتها الأصلية على حدث القيام ، وهذه الدلالة تستمد قوتها من الدلالة اللفظية الصوتية من قِبَل أنها إطار اللفظ أو القالب الذي تصب فيه الألفاظ وتبنى على منواليه[٤].

وفي هذا يقول ابن جني: "الدلالة الصناعية أقوى من المعنوية من قِبَل أنها وإن لم تكن لفظاً فإنها صورة يحملها اللفظ، ويخرج عليها، ويستقر على

(١) ينظر: الخصائص ٢/ ١٦١.
(٢) السابق ٣/ ١٠.
(٣) ينظر: الدلالة الصوتية والدلالة الصرفية عند ابن جني عبد الكريم مجاهد ص ٨٠، (بحث نشر في مجلة الفكر العربي العدد السادس والعشرون السنة الرابعة آذار ١٩٨٢م).
(٤) ينظر: السابق نفسه.

المثال المعتَزم بها، فلما كانت كذلك لحِقت بحكمه وجرت مجرى اللفظ المنطوق به فدخلا في باب العلوم المشاهدة"(١).

فصيغة "فاعل" صورة أو قالب لكل اسم، ويقصد بها دلالة الصيغة أو الشكل المعين للكلمة على معنى إضافي لاحق بالمعنى الأصلي المتحصل من أصل المادة، فنجده يقول: "ألا ترى إلى قام ودلالة لفظه على مصدره ودلالة بنائه على زمانه"(٢).

حيث لاحظ ابن جني في كثير من الصيغ الصرفية فروقاً في الدلالة، سببها زيادة بعض الوحدات الصرفية (المورفيمات) في أوائل الصيغ أو أوسطها على الحروف الأصلية، أو على الجذر الأصلي، فصيغة (فعل) إذا زيدت الهمزة في أولها تحولت إلى صيغة (أفعل) مختلفة الدلالة، حيث جعل الفاعل مفعولاً، نحو: دخل وأدخل، وخرج وأخرج.

يقول ابن جني: "فافعل للنقل، وجعلِ الفاعلِ مفعولاً، نحو دخل، وأدخلته، وخرج، وأخرجته ..." (٣)، وزيادة الألف في وسط الكلمة ودلالتها على المشاركة، نحو قاتل، وضارب، ونادم، يقول ابن جني: "... وأما فاعل فلكونه من اثنين فصاعدا؛ نحو ضاربَ زيد عمرا، وشاتم جعفر بِشرا ..." (٤).

وأيضاً تضعيف العين للدلالة على تكثير الفعل نحو: "غَلَّقَ الأبواب، وقَطَّعَ الحبال، وكَسَّرَ الجِرَار"(٥). فزيادة المورفيمات في الصيغ الصرفية يحولها إلى صيغة أخرى، ويكسبها معنىً جديداً.

(١) ينظر: الخصائص ٣/ ٩٨.
(٢) ينظر: السابق نفسه.
(٣) ينظر: الخصائص ١/ ٢٢٤.
(٤) السابق نفسه.
(٥) السابق ١/ ٢٢٣.

فابن جني – هنا – أدرك كثيراً من القيم الصرفية ذات الوظيفة الدلالية المطردة، التي تنم عن فهم عميق للتغيرات الصرفية التي تتعاور الكلمة من أجل الأغراض الدلالية.

يقول ابن جني عن التصريف: "هو التلّعب بالحروف الأصول لما يراد فيها من المعاني المفادة منها"(١).

كما أن هذه الوظيفة البنائية للحروف في العربية ليست مقتصرة على الوحدات الصوتية الصامتة، وإنما تشترك في أدائها ـ أيضاً ـ الوحدات الصوتية المصوتة (القصيرة، والطويلة)، إذ تتميز صيغ الفعل الثلاثي المجرد من خلال الحركة التي تلي عين الفعل، فيقال: فَعَل – فَعِل – فَعُل، ولهذا الاختلاف دلالته الصرفية، ولابن جني باعٌ كبيرٌ في بيان الفروق الدلالية للمصوتات، ومن ذلك قوله: "مَفْعل ومِفْعل الحرف الزائد في أولهما المعنى، وذلك أن مَفْعلاً يأتي للمصادر نحو ذهب مذهباً، دخل مدخلاً، وخرج مخرجاً. ومِفْعَلا يأتي للآلات والمستعملات نحو مِطْرقَ ومِرْوح ومِخْصف ومِئْزر"(٢)، ويتضح ذلك في توجيهه قراءة حسان بن عبد الرحمن في قوله تعالى ﴿**وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا**﴾ الفرقان ٦٧، حيث نجده يقول: "القَوَامُ (بفتح القاف): الاعتدال في الأمر، ومنه قولهم: جارية حسنة القَوَام. إذ كانت معتدلة الطُّول والخَلْق، وأمَّا القِوَام (بكسر القاف)، فإنه مِلَاك الأمر وعِصَامُه، فكذلك قوله ﴿**وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا**﴾ أي مِلاكا للأمر ونظاما وعصاما"(٣).

يرى بعض المستشرقين عدم إمكانية قيام الحركات أو الصائت بأداء الوظيفة البنائية في أداء المعنى المعجمي – كما في الصوامت – ، بل

(١) ينظر : التصريف الملوكي لابن جني ص ٣.
(٢) ينظر: الخصائص ١/ ٢٣٤.
(٣) ينظر: المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها لابن جني صـ ١٢٥/٢.

يقتصر دورها في بناء الصيغ الاشتقاقية المأخوذة من هذا الجذر، يقول بروكلمان: "تتميز اللغات السامية – ومن بينها العربية بالطبع – عن سائر اللغات بتغليبها الصوامت على الحركات ، ويرتبط معنى الكلمة بالصوامت فقط، أمَّا الحركات فإنها تستخدم فقط للتعبير عن الصيغ الصرفية (أو الاشتقاقية) الراجعة إلى هذا المعنى"(١)، ولقد ذهب بعض المحدثين العرب إلى ما ذهب إليه بروكلمان، فيرى د." تمام حسان "أنها أي الحروف الصحاح تكون أصولاً للكلمات العربية من حيث الاشتقاق؛ فتكون فاء الكلمة أو عينها أو لامها، أي تكون حروف مادتها من وجهة نظر المعجم ولا تكون العلل (المد والحركة أي الحركات قصاراً أو طوالاً) كذلك، أما الواو والياء من بين الصحاح فإنهما تكونان حرفي لين لهما هذه الوظيفة التي للصحاح، وقد تكون تكونان حرفي مدّ فتعتبران من العلل ولا تقومان بهذه الوظيفة"(٢).

فتمام حسان يعتبر وظيفة الحركات أو العلل "مناطاً لتقليب صيغ الاشتقاق المختلفة في حدود المادة الواحدة ، فالفرق بين قَتَلَ، وقُتِلَ، وقتيل وقَتُول وهلم جرّا من مشتقات (ق ت ل) فرق يأتي عن تنوع حروف العلة لا الحروف الصحيحة، ومن هنا تتحمل حروف العلة بالتعاون مع حروف الزيادة وموقعية الكلمة أخطر دور في تركيب الصيغ الاشتقاقية العربية"(٣)، كما جعل إلى جانب هذه الوظيفة الصرفية وظيفة أخرى، وهي الوظيفة السمعية، فهي (الحركات) أساساً لقوة الأسماع(٤)، كما يذهب د. رمضان عبد التواب إلى ما ذهب إليه بروكلمان، ود. تمام حسان، فيذكر أن أهم ما يميز فصيلة اللغات السامية، عن غيرها من فصائل اللغات الأخرى، اعتمادها اعتماداً كبيراً على الأصوات الصامتة Consonants.

---

(١) بروكلمان . GVG , I , S. 5 f.

(٢) ينظر: العربية معناها ومبناها ص ٦٨.

(٣) ينظر: العربية معناها ومبناها ص ٧٢.

(٤) السابق ص ٧١.

لا على الأصوات المتحركة Vowels، فهو يرى أن المعنى الرئيس للكلمة في ذهن الساميين يرتبط بالأصوات الصامتة، أما المتحركة، فهي لا تعبر في الكلمة إلا عن تحوير هذا المعنى وتعديله(١).

بينما يرى د. عبد الفتاح البركاوي أن ما ذهب إليه العلماء أمر لا جدال فيه فيما يتعلق بالعلاقة بين المادة اللغوية وما يشتق منها ، امَّا فيما يتعلق بمادتين أو أكثر مختلفة، فأمرٌ فيه وجهةُ نظر؛ إذ إن كثيراً ما نجد مادتين متفقتين اتفاقاً تاماً في جميع الصوامت والصوائت عدا حركة واحدة، وترتب عليها اختلاف في المعنى المعجمي، ومثّل لنا بمجموعة من الكلمات التي أوردها ابن السكيت في كتابه (إصلاح المنطق)، حيث عقد ابن السكيت أبواباً طوالاً لكلمات تتفق في سائر الصوامت والحركات عدا حركة واحدة، وترتب على هذا اختلاف المعنى المعجمي، مما يدل على ما للحركة من دور لا يقل عن دور الصوامت في حمل جرثومة المعنى(٢)، ومن ذلك: الوَقْر – والوِقْر، والغَمْر – والغِمْر.

أمّا الكلمات التي اختلفت حركتها ولم يترتب عليها تغير في المعنى، فهي قليلة بالمقارنة مع تلك التي تختلف فيها المعاني باختلاف الحركات، وهو مظهر من مظاهر اختلاف اللهجات، أو حالة من حالات الإبدال(٣).

الدّلالةُ المعنويّة أو النّحويّة، وهي الدلالة التي تحصل من خلال العلاقات النحوية بين الكلمات التي تتخذ كل منها موقعاً معيناً في الجملة

(١) ينظر: فصول في فقه العربية د. رمضان عبد التواب ص ٤٥.

(٢) ينظر: دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث (دراسة تحليلية للوظائف الصوتية والبنيوية والتركيبية في ضوء نظرية السياق) د. عبد الفتاح عبد العليم البركاوي ص ١٠٠ وما بعدها.

(٣) للمزيد، ينظر الأمثلة في كتاب الإبدال لأبي الطيب اللغوي، وكتاب القلب والإبدال لابن السكيت، والإبدال والمعاقبة والنظائر للزجاجي.

حسب قوانين اللغة، أي علاقة النحو والسياق بالدلالة؛ حيث إنَّ كل كلمة في التركيب لابد أن يكون له وظيفة نحويّة حسب موقعها الإعرابيّ.

يقول ابن جني: "هو انتحاءُ سَمْت كلام العرب في تصرفه من إعراب وغيره"(١).

فابن جني يدرك مراعاة وأهمية القوانين النحوية في وضوح وإبانة وكشف المعنى، فنجده يقول: "أن سبب إصلاح العرب ألفاظها وطردها إياها على المُثُلِ الذي قنَّنتها لها وقصرتها عليها، إنما هو لتحصين المعنى وتشريفه، والإبانة عنه وتصويره"(٢)، وفي موضع آخر يقول: "هو الإبانة عن المعاني بالألفاظ؛ ألا ترى أنك إذا سمعت أكرم سعيدٌ أباه، وشكر سعيداً أبوه، علمت برفع أحدهما ونصب الآخر الفاعل من المفعول، ولو كان الكلام شَرْجاً واحدا لاستبهم أحدهما من صاحبه"(٣)، ويقول أيضاً: "ألا ترى أن استمرار رفع الفاعل ونصب المفعول، إنما هو للفرق بين الفاعل والمفعول، وهذا الفرق أمر معنويّ، أصلح اللفظ له وقِيد مَفَاده الأوفق من أجْل"(٤)، وهكذا " فالإعراب على مخالفة بعضه بعضاً من حيث كان إنما جيء به دالاً على اختلاف المعاني"(٥) فلكل فعل فاعلاً، فالفعل حدث لا بد له من محدث "... ألا تراك حين تسمع ضرب قد عرفت حدثه وزمانه ، ثم تنظر فيما بعد فتقول : هذا فعل ولابد له من فاعل ، فتبحث حينئذ إلى أن تعلم الفاعل من هو وما حاله من موضع آخر لا من مسموع مضروب ..." (٦).

(١) ينظر: الخصائص ١/ ٣٤.
(٢) ينظر: الخصائص ١/ ١٥٠.
(٣) السابق ١/ ٣٥.
(٤) ينظر: الخصائص ١/ ١٥٠.
(٥) ينظر: السابق ١/ ١٧٥، ٣/ ٩٨- ٩٩.
(٦) السابق ٣/ ٩٨- ٩٩.

وهكذا نجد ابن جني عبقريّ عصره قد سبق "تشومسكي" الذي يرى أن فهم العلاقات في "البنية العميقة" ضروري لتفسير الجملة تفسيراً دلالياً صحيحاً[١].

كما لم يهمل ابن جني دور العامل وتحكمه وتوجيهه، فإذا كان الإعراب هو السبب في اختلاف المعاني وتنوعها، فإن وراء هذه الصورة اللفظية العامل، يقول ابن جني: "النحو إنما هو لمعرفة أنفس الكلم المتنقلة، ألا ترى أنك إذا قلت قام بكرٌ، ورأيت بكراً، ومررت ببكرٍ، فإنَّك إنما خالفت بين حركات الإعراب لاختلاف العامل، ولم تعرض لباقي الكلمة"[٢] أي لحركات الحروف الأخرى في الكلمة؛ لأنَّ ذلك من اختصاص التصريف؛ لأنَّ المعنى النَّحويّ متعلق بحركة الإعراب على آخر الكلمة. ويقرّ: "عبده الراجحي" بعدم إنكار ابن جني العامل – خلافاً لبعضهم كـ إبراهيم مصطفى، وأحمد عبد الستار الجواري، وأيضاً محمود حسني محمود الذي يؤكد أنَّ ابن جني رفض العوامل جميعها– [٣]، وإنَّما فهم فكرة العامل فهماً لغوياً صحيحاً؛ باعتباره التأثير الذي ينشأ بين التراكيب اللغويّة أو النظم في جملة واحدة، وذلك عندما وضَّح طبيعة العمل "بمضامة اللفظ للفظ، أو باشتمال المعنى على اللفظ"[٤].

أمَّا الدّلالةُ المعجمية فقد وجدنا جزءاً منها في (باب في تلاقي المعاني على اختلاف الأصول والمباني)، حيث ذكر "خُلُقُ الإنسان" فهو "فُعُل" من خَلَّقْتُ الشيء أيّ ملّسته؛ ومنه صخرةٌ خَلْقاء للملساء، ومعناها "أنَّ خُلَقَ

(١) ينظر: النحو العربي والدرس الحديث د. عبده الراجحي ص ١٤٢.
(٢) ينظر: المنصف في شرح كتاب التصريف للمازني ١/ ٤.
(٣) ينظر: النحو العربي والدرس الحديث ص ١٤٢، ونحو التيسير (دراسة ونقد منهجي) أحمد عبد الستار الجوارحي ص٤٠، وإحياء النحو إبراهيم مصطفى ص ٣١.
(٤) ينظر: فقه اللغة العربية في الكتب عبده الراجحي ص ١٥٨.

الإنسان هو ما قُدِر له ورُتِّبَ عليه، فكأنه أمرٌ قد استقرَّ ... والخليقة فعيلة منه"[١].

وقد كثرت فعيلة في هذا الموضع؛ وهو قولهم: "الطبيعة وهي من طبعتُ الشيء أي قرَّرتُه على أمر ثبتَ عليه ... ومنها "النحيتة" نحتتُّ الشيء أي ملَّته وقرَّرته على ما أردته منه ... ومنها "الغريزة " ... تغريزُ الدَّرهم بالآلة التي تثبِّت عليه الصورة، وذلك استكراه له وغمز عليه كالطبع"[٢] ونحو ذلك مما ذكره في هذا الباب.

وأيضاً ما جاء في " باب الفصيح يجتمع في كلامه لغتان فصاعداً " من ذلك قول لبيد العامري:

سقَى قومي بني مَجْدٍ وأسقى ... نُميراً والقبائلَ من هِلال[٣]

وقال طفيل:

أمّا ابنُ طَوْقٍ فقد أوفى بِذمَّته ... كما وفى بِقلاصِ النَّجم حاديها[٤]

وما جاء في قوله: "وذلك ما جاء عنهم في أسماء الأسد والسيف والخمر وغير ذلك. وكما تنحرف الصيغة واللفظ واحد نحو قولهم: "هي رَغْوة اللّبن ورُغْوته، ورِغْوته، ورُغاوته، ورِغَاوته ، ورُغَايته ... وكقولهم جئته من عَلِ ومن عَلا، ومن عَلْوُ، ومن عَلْوَ، ومن عَلْو، ومن عالٍ ومن مُعَالٍ ... [٥].

وأيضاً ما جاء " وكلما كثرت الألفاظ على المعنى الواحد كان ذلك أولى بأن تكون لغات لجماعات، اجتمعت لإنسان واحد: من هَنَّا ومن هَنَّا

(١) الخصائص ٢/ ١١٣-١١٤.
(٢) السابق ٢/ ١١٤.
(٣) وديوان لبيد بن ربيعة بن مالك العامري ص ٣٧.
(٤) الخصائص ١/ ٣٧٠، وينظر: ديوان طفيل الغنوي كامل شرح الأصمعي ص١٤١، والحماسة البصرية علي بن أبي الفرج بن الحسن البصري ١/ ١٣٩، تحقيق: عادل سليمان جمال.
(٥) السابق ١/ ٣٧٣- ٣٧٤.

ورويتُ – أي ابن جني – عن الأصمعي قال: اختلف رجلان في الصَّقْر، فقال أحدهما: الصقر "بالصاد"، وقال الآخر: السَّقْر "بالسين" فتراضيا بأوّل وارِدٍ عليهما، فحكيا له ما هما فيه. فقال: لا أقولُ كما قلتما؛ إنما هو الزَّقر(١).

أمَّا الدِّلالةُ السياقيةُ، فتعني توافق معنى الكلمة مع معاني الكلمات الأخرى في التركيب الذي وردت فيه هذه الكلمة، كما ينبغي أن يشمل بوجه من الوجوه كل ما يتصل بالكلمة من ظروف وملابسات(٢)، إلى دلالات مختلفة تتحدد بضوابط خاصة، من ذلك المعاني الحافة الاجتماعية والفردية، وهي عبارة عن قيم عاطفية إضافية تسمى القيم التعبيرية أو الإسلوبية والتي أضحت من مباحث علم الإسلوب(٣).

"إن السياق، ينبغي أن يشمل – لا الكلمات والجمل الحقيقية السابقة والملاحقة – فحسب – بل والقطعة كلها والكتاب كله – كما ينبغي بوجه من الوجوه كل ما يتصل بالكلمة من ظروف وملابسات"(٤).

ومما يجدر الإشارة إليه أنَّ التراكيب السياقية هي التي تشرف أساساً على تحديد الدّلالة المعينة للصيغة؛ فتتميز بذلك الدّلالة العامة من الدّلالة الخاصة، والدّلالة الظاهرة من الدّلالة الخفية اللتان يتحكم فيهما التصريف المزدوج لاستعمال اللغة، وهو ما يمكن أن يدرج تحت ما يسمى بالدّلالة الأصلية والدّلالة المحولة "فإذا استطاع اسم من الأسماء أن تكون له معان عديدة فيجب أن نعلم أنها معان محتملة، وأن أحد هذه المعاني يتحدد ضمن سياق معين"(٥).

(١) السابق ١/ ٣٧٤.
(٢) ينظر: دور الكلمة في اللغة ستيفن أولمان ص ٦٢.
(٣) ينظر: علم الدلالة (أصوله ومباحثه في التراث العربي) منقور عبد الجليل ص ٦٨.
(٤) ينظر: دور الكلمة في اللغة ص ٦٢.
(٥) ينظر: علم الدلالة بيار جيرو ص ٥٦ ترجمة د. منذر عياشي.

يقول (وتغنشتين) Wittgenstein : "لا تفتش عن معنى الكلمة وإنما عن الطريقة التي تستعمل فيها"[(١)]، ويقصد –هنا –المقام، والوضع الذي يحدث فيه التواصل أو الملامح الفيزيولوجية النفسية للمتكلم التي تصاحبه.

أمّا الدّلالة الصوتيّة غير المطّردة، فهي تلك الدّلالة التي لا تخضع لنظام معين أو قواعد مضبوطة، ومن صورها: الأصوات الثانوية، أو ما يطلق عليها الأصوات فوق التركيبية (النبر والتنغيم والوقف) وغيرها من الملامح الصوتية Suprasegmental Phonemes التي لا تدخل في تأليف البنية الصوتية للكلمة، ولكنها تظهر في الأداء فقط.

❁❁❁❁❁

(١) ينظر: مدخل إلى علم الدلالة الألسني د. موريس أبو ناضر ص ٣٣ مجلة الفكر العربي المعاصر العدد ج رقم ١٩/١٨، سنة ١٩٨٢م.

المطلب الثالث

العلاقة بين الدّال والمدلول

قد قام ابنُ جني في كتابه الخصائص بعرض ثلاث علائق متصلة هي : العلاقة بين اللفظ والمعنى، والعلاقة بين اللفظ واللفظ ، ثم العلاقة بين الحروف ببعضها، وأفرد لذلك أبواباً، من ذلك:" باب في تلاقي المعاني على اختلاف الأصول والمباني"، حيث عرض فيه اشتراك الأسماء في المعنى الواحد ورده ؛ لوجود تقارب دلالي بين تلك الأسماء، و"تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني"، حيث عرض فيه تقارب الدلالات لتقارب حروف الألفاظ ، حيث سجل فيه أن مخارج حروف اللفظ التي تقترب من مخارج حروف لفظ آخر، هما متقاربان دلالياً لتقاربهما فيولوجياً و"باب إمساس الألفاظ أشباه المعاني" وفيه يرسم القيمة الدلالية للمعنى الذي يقابله ... وهي أبواب قيمة وطرح جريئ ، وهي محاولات كانت تنتظر من يعطيها طابع النظرية الشاملة بعد ابن جني لكن – للأسف – لم نجد من يكمل ما بدأه ابن جني، وإنما انتحلوا بحوثه ونسبوها إلى أنفسهم كابن سيده (ت ١٥٨هـ) صاحب كتاب "المحكم".

لقد نال هذا الموضوع قسطاً وافراً من اهتمام اللغويين ، التي أصبحت حجر الزاوية في علم الدلالة المختص بدراسة المعنى، وهي علاقة الصورة الذهنية بالصورة الخارجية، أهي صلة اعتباطية، أم صلة طبيعية؛ فتكون معها دلالة الألفاظ على معانيها ذاتية؛ فتكتسب الألفاظ دلالتها من خلال جرس أصواتها الذي يشبه إلى حد كبير جرسها في الطبيعة، كما في: دبّ، وحفّ، وأزّ، وكحّ، ورشّ، وشرّ ونحوه، فوقعها في الأذن كجرس أصوات مدلولاتها ووقعها في الطبيعة.

وهذا اتجاه مال إليه كثير من اللغويين (قدامى ومحدثين) من الغربيين والعرب، يقول يسبرسن: "إن فكرة المناسبة الطبيعية الصوت والمعنى وأن

الكلمات تكتسب محتواها وقيمتها من خلال رمزية صوت معينة كانت لها دائما الأفضلية في الاهتمام اللغوي ..." [١].

كما استأنس الخليل بن أحمد لهذا الرأي؛ فقد جاء في "العين" : "صَرَّ" الجُنْدُبُ صَريراً، وصَرْصَرَ الأَخْطَبُ صَرْصَرةً، وصَرّ البابُ يَصِرُّ، وكل صَوْتٍ شِبْهُ ذلك فهو صَرير إذا امتدّ، فإذا كان فيه تخفيف وترجيع في إعادةٍ ضُوعِفَ، كقولك: صَرْصَر الأخطَبُ صَرْصَرَةً"[٢]، وفي موضع آخر "كأنهم توهموا في صوت الجندب استطالة ومدا، فقالوا: صرَ، وتوهموا في صوت البازي تقطيعاً فقالوا: صرصر "[٣].

ومما لاشك فيه أن ما ذهب إليه ابن جني وغيرة يتناسب وأصحاب ثنائية الألفاظ، الذين يرون أن الألفاظ في أصل نشأتها كانت على حرفين اثنين حاكى بهما الإنسانُ ما يسمعه من أصوات، فالأب انستاس ماري الكرملي يقول:" فالذي أراد أن يحاكي صوت صِرار الليل ، وهو(الجَدْجَدُ) ويسمى أيضاً صرصر، وهو حيوان يشبه الجراد قفَّاز يكثر صياحه في الليل حاكاه بأن قال (صَرَّ) ولما حاول أن يثبت لسماعه أن الحرف الأخير هو الراء قال : (صرّ) وشدَّ على الحرف الأخير وهو الراء ، ولما أراد أن يفهم السامع أن الصّرار كان يكرّر صوته قال (صَرْصرَ)؛فأسكن الراء الأولى على الوضع الأول لحكاية صوت الحشرة، وحرَّك الثانية للإشارة إلى مواصلة الكلام"[٤].

أي أن أصل الألفاظ حرفان محاكاة لأصوات الطبيعة لها معنى معين أصلي، وما زاد من حروف في أول أو وسط أو آخر الكلمة؛ إنما جاء لتفريع المعنى الأصلي وتنويعه حسب الظروف والمقام والبيئة والزمان.

---

(١) Jespersen, Language its nature , Development and origin, George Allen 8 Unwin Ltd, London 1947: P.386

(٢) ينظر: العين حرف الصاد (ص ر ر).

(٣) ينظر: الخصائص ٢ /١٥٢.

(٤) ينظر: نشوء اللغة العربية ونموها واكتهالها للأب انستاس ماري الكرملي ص ٩،١.

كما أثبت –أيضاً– (الأب مرمرجي الدومنيكي) أنَّ كل ثلاثي مضعف في العربية يقابله ثنائي في أخواتها الساميات متفق معه في الصوت والمعنى وما زاد عليه فهو لتفريع المعنى الأصلي وتنويعه(١).

يقول الأب الدومنيكي: "الثنائية Bilateralism هي النظرة القائلة بأن الأصول في العربية – وكذلك في أخواتها السامية – ليست الألفاظ ذوات الحروف الثلاثة بل ذوات الحرفين، إذن من شأن الثلاثيات أن ترد إلى الثنائيات"(٢).

وهذا سيبويه – أيضاً – الذي يربط بين الصوت والمعنى من خلال عقد علاقة بالأوزان ومعانيها، فيقول: "ومن المصادر التي جاءت على مثال واحد، حين تضارب المعاني قولك: النَزَوان والنَّقَزان والقَفَران، وإنما هذه الأشياء في زعزعة البدن واهتزازه في ارتفاع، ومثله العَسَلان والرَّتَكان، ومثل هذا الغَلَيان؛ لأنه زعزعة وتحرك، ومثله الغَثَيان؛ لأنه تجيش نفسه وتثور، ومثله الخَطَران واللَّمَعان؛ لأن هذا اضطراب وتحرك، ومثل هذا اللَّهَبان والوَهَجان؛ لأنه تحرك الحر وتثوره فإنما هو بمنزلة الغليان"(٣)، وأيضاً كثير من اللغويين كابن دريد الذي فسَّر تسمية العرب لأبنائهم تفسيراً يقوم على وثوق الصّلة بين الأسماء ومدلولاتها، وتعليل أسماء الأعلام والقبائل في الجزيرة العربية، فهذيل من الهذل، وهو الاضطراب، وقضاعة من انقضع الرجل عن أهله إذا بعد عنهم، أو من تقضع بطنه إذا أوجعته(٤).

وابن فارس في مقاييس اللغة نجده يقول: "القلم لا يكون قلماً إلا وقد بُري وأصلح، وإلا فهو أنبوبة. وسمعت أبي يقول: قيل لأعرابي ما القلمُ ؟

(١) ينظر: المعجمية العربية على ضوء الثنائية والألسنية السامية مرمرجي الدومنيكي ص ١٢١– ١٢٢.

(٢) السابق ص٦.

(٣) ينظر: الكتاب ٢/ ٢١٨.

(٤) ينظر: الاشتقاق (أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي) ص ١٧٦، ٥٣٦.

فقال: لا أدري. فقيل له توهمه، فقال عود قلم من جلنبه كتقليم الأظفور فسمي قلماً"[١].

وتجدر الإشارة إلى أن الدلالة الذاتية المحاكاتية ترجع إلى الفكرة القائلة بأن اللغة الإنسانية الأولى نشأت عن طريق محاكاة الإنسان صوت الطبيعة من حوله، نحو خرير الماء، ودوي الريح، وحنين الرعد، وشحيج الحمار، ونعيق الغراب، وصهيل الفرس، ونزيب الظبي ... ونحوه من الأصوات المسموعة التي حاكاها تعبيراً عن مصادرها، في الطبيعة، وكل ما اتصل بها من معان ومدلولات.

ولقد كان ابن جني واحداً من أبرز علماء العرب الذين أسهموا في إضافة شيء إلى النظرية اللغوية العربية، فهو لم يكتفِ بتكرار الآراء المطروحة وعرضها، بل نجده قد عرض تلك الآراء محاولاً إضافة بعض الطَّرافة بقوله إن اللغة نشأت بفعل طبيعي محاكاتي، بل جعلها دليلاً على حكمة العرب، – فنجده يقول: "... من حكمة العرب التي تشهد معها العقول، وتتناصر إليها أغراض ذوي التحصيل، فما ورد على وجه يقبله الناس، وتنقاد إليه دواعي النظر والإنصاف حمل عليها ونسبت الصنعة فيه إليها. وما تجاوز ذلك فخفي لم تُوعَس النفس منه، ووُكِل إلى مصادقة النظر النظر فيه، وكان الأحرى به أن يتّهم الإنسان نظره ، ولا يخفّ إلى ادّعاء النقض فيما قد ثبَّت الله أطنابه، وأحصف بالحكمة أسبابه ..."[٢] ـ ذلك الرأي الذي كان عنده بمثابة المنطلق النظري لمعالجة نشوء اللغة وتركيباتها المتولدة فيما بعد، وذلك في باب (القول على اللغة إلهام هي أم اصطلاح) فنجده يقول: "وذهب بعضهم إلى أن أصل اللغات كلها إنما هي من الأصوات المسموعات، كدويّ الريح، وحنين الرعد ... ثم ولدت اللغات عن ذلك فيما (كذا) بعد . وهذا عندي وجه صالح ومذهب متقبل"[٣].

(١) الصاحبي في فقه العربية لابن فارس، ص ٩٨– ٩٩.
(٢) الخصائص ٢/ ١٦٤ – ١٦٥.
(٣) ينظر: السابق ١/ ٤٦– ٤٧.

والواقع أن هذا التفسير الطبيعي لنشوء اللغة عند ابن جني هو الدافع الفعلي لكل عمله اللغوي في شروحه التي يعتمد فيها على الأصل الطبيعي للغة، وخاصة في كلامه عن الاشتقاق بوجهيه (الأكبر والأصغر)، والتقليبات الستة للكلمة. كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

خلافاً للبعض الذي يرى أن الاعتباطية تعتبر الخليَّة الحيوية التي تشرف على عملية التوالد الداخلي في اللغة، إذيتم استحداث تراكيب وصيغ لغوية جديدة في صلب اللغة وابتكار مدلولات لها(١).

يقول المسدي: "إن التوالد المستمر في رصيد اللغة سببه سمة العرضية في حصول الألفاظ دوال على المعاني واحداً بعد آخر وبطواعية المدلولات على ارتداء الألفاظ بعضها مكان بعض، كما تسنّى البت – بحكم علاقة الإنسان باللغة وموقعه الفاعل منها – في أمر استحداث المركبات الدلالية أصلاً بابتكار المدلول الذي لم يكن ، ثم صناعة دال له فيلتحمان، ومن التحامهما يتكون مثلث دلالي جديد"(٢).

والواقع أن تلك الفكرة ليست من ابتكار ؛ فقد ورد ما ذكره السيوطي في مزهره من أن سليمان الصيمري – وهو من المعتزلة – كان يستشعر تلك العلاقة الطبيعية بين اللفظ والمعنى، فيقول: "نقل أهل أصول الفقه عن عباد بن سليمان الصيمري من المعتزلة أنه ذهب إلى أن بين اللفظ ومدلوله مناسبة طبيعية حاملةً للواضع على أن يضعَ قال: وإلا لكان تخصيصُ الاسم المُعيّن بالمسمّى المعيّن ترجيحاً من غير مُرَجِّح"(٣).

والواقع أن إدراك تلك المطابقة بين اللفظ ومعناه عند هؤلاء إنما ينمُّ عن تركيز في جريان عملية النطق للصوت، فابن جني ربط الفعل اللغوي بحاسَّة السمع التي تنقل الصوت من الخارج إلى ذهن الإنسان؛ حيث تختلج

(١) ينظر: علم الدلالة منقور عبد الجليل ص ٦٢.
(٢) ينظر: اللسانيات وأسسها المعرفية عبد السلام المسدي ص ٦٢.
(٣) ينظر: المزهر في علوم اللغة وأنواعها جلال الين السيوطي ١/ ٤٧.

النفس بذاك الصوت؛ فتنطق محاكية لمعناه المتولِّد في الذهن، فكلما كانت محصلة السَّمع قوية كان إمكان الدلالة على المعنى أقوم وأبلغ، وهذا يتضح من كلامه في (باب الرد على من ادَّعى على العرب عنايتها بالألفاظ وإغفالها المعاني)؛ حيث إنه يردّها إلى الحقل التجريبي لها وهو الإنسان الناطق لها، فنجده يقول: "فأول ذلك عنايتها بالألفاظ. فإنها لمَّا كانت عنوان معانيها، وطريقاً إلى إظهار أغراضها ومراميها، أصلحوها ورتَّبوها، وبالغوا في تحبيرها وتحسينها؛ ليكون ذلك أوقع في السمع، وأذهب في الدلالة على القصد "(١).

وهذا ما يفسر لنا تعليل الصيمري عندما سئل عن مسمّى (اذغاغ)، وهو بالفارسية: الحجر، فقال: " ... أجد فيه يُبساً شديداً وأراه الحجر"(٢)، فالعضو السمعي هو الممهِّد للمحاكاة الصحيحة.

ومن العرب الذين يقولون بالصلة الوثيقة بين اللفظ ومدلوله الشدياق (ت ١٨٠٤– ١٨٨٨م)، فنراه يتناول معاني الحروف ، وعلاقة المعاني بكل حرف ومن ذلك قوله: "ومن خصائص حرف الدال اللين والنعومة والغضاضة نحو الفرهد والأملود، والميم القطع والاستئصال والكسر نحو، أزم وحسم، وحطم وحلقم، وخذم وخرم وخضم"(٣).

كما ذهب ابن سنان الخفاجي – أيضاً – إلى تقرير دلالة الصوت دلالة ذاتية؛ "لأنه لا يجوز وجود الصوت إلا في محل ... ولأنه يختلف باختلاف حال محله ؛ فيتولد من الصوت في (الطست) خلاف ما يتولد في (الحجر)، فالصوت حادث من أثر المصاككة الموضعية لذات الشيء المحدث له ..." (٤).

❁❁❁❁❁

(١) ينظر : الخصائص ١/ ٢١٥وما بعدها.
(٢) السابق باب (المناسبة بين اللفظ ومدلوله)، والمزهر ١/ ٤٧.
(٣) الساق على الساق فيما هو الفارياق أحمد فارس الشدياق ١/ ١–٢.
(٤) سر الفصاحة ص ١١، ودلالة الألفاظ د. إبراهيم أنيس ص ٤٦.

المبحث الثاني

مظاهر الدلالة المحاكاتية للصوت (مفرداً ومركباً)

على مستوى الصيغة عند ابن جني

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: إمساس الألفاظ أشباه المعاني ويشتمل على خمسة أفرع :

الفرع الأول: محاكاة الصوت (تسمية الأشياء بأصواتها)

الفرع الثاني: محاكاة طبيعة الأحداث والأشياء

الفرع الثالث: محاكاة الحركة

الفرع الرابع: محاكاة قوة الأحداث أو كثرتها .

الفرع الخامس: محاكاة ترتيب الحدث

المطلب الثاني: تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني ويشتمل على ثلاثة أفرع:

الفرع الأول: كلمات ثلاثية متفقة في صوتين متضارعة في صوت واحد.

الفرع الثاني: المضارعة بالأصوات الثلاثة أصول المادتين المتقاربتين في المعنى.

الفرع الثالث: تقارب اللفظين باتحادهما في حرفين ، واختلافهما في حرف واحد.

الفرع الرابع: المضارعة في الأصل الواحد بالحرفين ، بأن يتفق اللفظان الثلاثيان في صوت واحد ويختلفان في صوتين متقاربين في المخرج.

المطلب الثالث : الاشتقاق الأكبر

المطلب الأول

إمساس الألفاظ أشباه المعاني

ويشتمل على خمسة أفرع:

الفرع الأول

محاكاة الصوت (تسمية الأشياء بأصواتها)

وتحدث عندما يقلِّد الإنسان في مقاطع صوتية ملفوظة الصوت الذي ينبعث عن الشيء، وبقدر ما تكون المقاطع الملفوظة دقيقة في استخراج أو تركيب أصوات غير ملفوظة تكون المحاكاة المباشرة التي تشكل رموزاً وعلامات يمكن أن تكون شبيهة بصور الأشياء ، والمحاكاة ترجع –في أغلبها –إلى أصوات منبعثة عن الأشياء ، فهي غير متسقة نطقياً ؛ ولذلك فإن الدلالة والنطق يكون كلاً منهما – إن جاز التعبير – في صراع مع الآخر ، وذلك هو السبب في أن هذا النوع من الرموز يبدو قليلاً ... وهذا النوع هو ما يعرف بـ "الأونوماتوبيا" Onomatopoeia.

إن فكرة العلاقة المحاكاتية عند ابن جني وتلك الألفاظ اللغوية التي جمعها، والتي تحاكي بأصواتها معانيها، إنما هي دلالة على طور محاكاة الإنسان الأول لأصوات الطبيعة، ذلك الطور الذي يعد فترة تدريب الجهاز النطقي على القيام بنشاط لغوي قد امتد فترة طويلة من الزمان، حتى ظلت أثاره في بعض اللغات إلى زمننا هذا إشارة إلى ذلك الطور، هذه الأثار التي تبدو بوضوح فيما سماه اللغويون بالألفاظ ذات الجرس المعبر. ولقد بقي في لغتنا من هذا الطور أثارٌ ما تزال دالة عليه تؤيد الباحث فيما ذهب إليه تخضع لتأثير الزمان؛ حيث إن للزمان دوره في جعل الدارس لنشأة اللغة يغفل عن الكثير من حقائقها، ولقد أشار إلى ذلك ابن جني عندما قال: "ألا ترى إلى قول سيبويه: (أو لعلَّ الأول وصل إليه علم لم يصل إلى الآخر)؛ يعني أن

يكون الأول الحاضر شاهد الحال، فعرف السبب الذي له ومن أجله ما وقعت عليه التسمية، والآخر لبعده عن الحال لم يعرف السبب للتسمية"[١].

وهذا ما ذهب إليه "همبلت" الذي صرَّح بوجود علاقة بين اللفظ والمعنى، غير أنه هذا المعنى يختفي بالتدريج ، ويحتجب مع تقدم اللغة واطّراد نموها ، فيقول: " إن هذه الرمزية أو المناسبة الطبيعية تظهر في الألفاظ ولكنها في وقت ما تبدو غامضة" [٢].

وبهذا يمكن الكشف عن سبب رفض بعض العلماء لنظرية المحاكاة ؛ فللزمان دورفي إغفالهم عن الكثير من حقائق هذا التماثل [٣].

Ullmann يعارض فكرة الربط بين الأصوات ومدلولاتها العام الغربي "ستيفن أولمان" فيقول: "لا يوجد في اللفظ ما ينبىء عن المدلول فبالإضافة إلى عدم وجود أية علاقة ظاهرة بين الكلمة وما تدل عليه ..."[٤] معللاً بأن ثمّة أمرين يعارضان هذه العلاقة: "... الأول: يتمثل في تنوع الكلمات واختلافها في اللغات المختلفة. والثاني: يتبلور في الحقائق التاريخية، فلو كانت معاني الكلمات كامنة في أصواتها، لما أمكن أن تتغير في لفظها ومدلولها تغيراً يستحيل ربطه بالوضع الأصلي لها"[٥]. فهو يرى أن الأصوات ليست لها دلالة ذاتية على المعاني، وإنما هذه الدلالة تكتسبها الألفاظ مع طول استعمال الإنسان لها، ومع هذا فهو يقر بوجودها، ويراها متحققة في ألفاظ كثيرة، فيذكر منها ألفاظاً محاكية لأصوات الطبيعة مثل "القهقهة" وهي كلمة معبرة ووصفية إلى حد ما بالصيغة نفسها، والأصوات فيها دليل من

(١) ينظر: الخصائص ٦٦/١.

(٢) Otto Jespersen: Language, its Nature Development and Origin, p.396

(٣) ينظر: التفكير اللساني في الحضارة العربية عبد السلام المسدي ص ٧٩.

(٤) ينظر: دور الكلمة في اللغة ص ٧٠ وما بعدها.

(٥) دور الكلمة في اللغة ص ٧١-٧٢.

دلائل المعنى، وفي استطاعة الأجنبي – الذي لا يعرف مدلول هذه الكلمة – أن يخمِّن هذا المدلول تخميناً دقيقاً إلى حدّ ما، كذلك "تمايل" تترجم للحركة ترجمة بيانية دقيقة بوسائل صوتية"(١).

وهذا "يسبرسن" Jespersen الذي يرى أن العلاقة الذاتية بين اللفظ ومدلولها تكون أكثر وضوحاً في التقليد المباشر للأصوات التي تعد بمثابة المحاكاة لأصوات الطبيعة ، كالتي تصدرها الأصوات المعدنية مثل: Cling (خشخشة)، أو Clang (طنين)، و Clank (قعقعة) وصوت المياه splash (الرش والطرطشة)، sizzle (صفير أو أزيز) وBubble (خرير الماء)، وأصوات الحيوانات مثل: Roar (زئير الأسد)، و Bleat ثغاء الغنم، والأصوات الإنسانية Sneeze (العطس)، وSnore (الشخير)، وWhisper (صفير)، و Smack (تلمظ أو تمطق)، Grumble (تأفف وتضجر) ونحوه(٢).

كما يرى أن هناك صلة طبيعية بين النغمات العالية (الأصوات ذات الذبذبة العالية) والضوء ، وبالعكس بين النغمات المنخفضة والمظلمة. كما أن الحرف يترك إحساساً بأنه أكثر ملائمة لكلمة Light "الضوء" والحرف u لكلمة Dark "الظلمة". ويبدو الأمر أكثر وضوحاً بمقارنة Gleam "وميض" و Glimmer "بصيص"، و Glitter "لمعان" بكلمة Gloom "ظلمة" في قولنا: " The Gloom of night relieved only by the gleam from street- lamp أي: "لم يخفف من ظلمة الليل إلا سطوع مصباح الشارع"(٣).

كما يرى أنه من الطبيعي أن يعبر بالكلمة عن الصوت الذي يصدر عن بعض الحركات لا غير نحو: "Bang the door" (اطرق الباب بعنف) أو Tap the door أو Rap (اقرع بخفة). كذلك هناك صلة طبيعية بين

(١) المصدر السابق ص ٧٦.

(٢) Language its Nature, Development, and origin: p.398- 404

(٣) المصدر نفسه.

الفعل والصوت في الكلمة الإنجليزية Tickle "وخز خفيف"، أو دغدغة[١]، كذلك ترتبط الألفاظ بالدلالات في بعض الحالات العقلية والنفسية؛ كالكلمات التي تعبر عن الغضب أو النفور والكره، فهو يرى أن الصيغ القصيرة والمبتورة أكثر مناسبة و ملاءمة من الطويلة لتعيين الحالة النفسية، والعقلية ، والشخص قد يستعملهما كليهما للطلب والأمر أو للاستغاثة أو للاستعطاف والتوسل[٢] كما ترتبط بحجم الأشياء أو أبعادها، فقد لوحظ – مثلاً – أن "الكسرة" وما يتفرع عنها عن "ياء المد " ترمز في كثير من اللغات إلى صغر الحجم أو قرب المسافة. ففي العربية – مثلاً – نجد أن "الياء" هي علامة التصغير، والكسرة علامة التأنيث[٣].

وقد ذهب ابن جني بالربط بين الصوت والفعل تارة، وبين الصوت والاسم تارة أخرى، باحثاً عن علاقة كل منهما بالآخر علاقة حسيّة ومادية متجسدة.

ومن الألفاظ التي وردت عند ابن جني والتي تحاكي أصواتها صوت مسمياتها (أصوات الطبيعة) الأزيز، فتقول : (أزَّت القدر أزيزا): أي اشتد غليانُها، فالسامع لصوت القدر وهي تغلي يسمع صوتاً متصلاً يشبه صوت الزاي مع استطالتها، ولذلك ضعفوها؛ ليوافق اللفظ مدلوله ولتدل الزاي المضعفة على استطالة صوتها في غليان القدر، و(غاق) لصوت الغراب، و(البط) لنوع من الطير يقول ابن جني: "سميت بذلك حكاية صواتها"[٤]، فإنه إذا مشى كان لوقع أقدامه (بط)، فسمي الطائر باسم صوت (البطبطة)، وهو ما يحدثه الغشاء الرقيق بين أصابعه من حبس الهواء، و(هبقم) لصوت اضطراب البحر.

(١) المصدر نفسه.
(٢) الدلالة اللغوية عند العرب د. عبد الكريم مجاهد ص ٢٢٨.
(٣) دلالة الألفاظ د. إبراهيم أنيس ص ٧٠.
(٤) الخصائص ٢/ ١٦٥ ، ولسان العرب حرف الباء ، والقاموس المحيط باب الطاء فصل الباء (ب ط ط).

قال رؤبة:

كالبحر يدعو هَيْقماً وهَيْقما[1]، والهيقم: حكاية اضطراب صوت البحر.

وأيضاً(خرير الماء) وهو الصوت الذي يحدثه الماء عند جريانه ، فالماء حين ينحدر من مرتفع يحدث في اندفاعه صوتاً يشبه صوت الخاء متبوعاً بالراء التي استطال زمن نطقها وضوعف فحاكى اللفظ صوت الماء، فدل عليه بجرسه دلالة محاكاتية صوتية و(شيب) حكاية صوت مشافر الإبل عند الشرب، و(الخازباز) "الذباب" لصوته[2]. و(حفيف الشجر) وهو صوت يحدثه الشجر عند احتكاك أوراقه بعضها ببعض ، فكأنهم توهموا صوت الحاء في هذا الاحتكاك، والفاء لنهاية الاحتكاك. والواق للصرد (طائر فوق العصفور)، وغاق لصوت الغراب.

وقد تكون أيضاً تلك الألفاظ التي تدل بأصواتها على معانيها تلك التي اشتقت من أصوات الزجر والاستحسان نحو: (حاحيت) و (عاعيت) و (هاهيت)(٣) إذا قلت: حاءٍ، وعاءٍ، وهاءٍ وجأجأت، وحأحأت للحمار أو التيس تعبيراً عن دعوته إلى الماء بقوله جيء جيء[4]، وسأسأ، للحمار: زجره ؛ ليمضي بقوله (سأ)

ومنه قول الشاعر:

لم تدرِ ماسأ للحميرِ ولم ... تضربِ بكف خابط السّلم[5]

(١) ديوان رؤبة بن العجاج صـ١٨٤، الخصائص: ٢/ ١٦٥، واللسان حرف الهاء (هـ ق م).
(٢) راجع الخصائص ٢/ ١٦٥.
(٣) السابق ٢/ ٤٠.
(٤) لسان العرب (ح أ ح أ).
(٥) ينظر: العباب للصغاني (س أ س أ) مصورة بمكتبة مجمع اللغة العربية بالقاهرة عن نسخة المكتبة الملكية بالرباط، وقارن بالقاموس المحيط (س أ س أ).

وشأشأت أيضاً أي : دعوت الحمار للشرب بقوله (شؤشؤ)، أو زجره ليمضي[١].

وأيضاً قولهم: (بسملت)، و(هيللت)، و (حولقت) "كل ذلك وأشباهه إنما يرجع في اشتقاقه إلى الأصوات. والأمر أوسع"[٢].

ومن هنا يتبين لنا أن التقليد المباشر للأصوات يعد بمثابة المحاكاة لأصوات الطبيعة .

ومما يجدر الإشارة إليه أنه قد ورد من هذا الحديث أشياء كثيرة على سمت ما حداه ابنُ جني وغيره ... قال ابنُ قتيبة: " كأن يقال: من وقى شر لقلقه، وشر ذبذبه ، فقد وقى. قال الأصمعي: اللَّقْلَق اللِّسان والقَبْقَب البَطْن والذَبْذَب الفَرْج ... إنما قيل للِّسان: لَقْلَق من اللَّقْلَقة، وهي الحَلَبة ، وكأن اللقلقة حكاية الأصوات إذا كثُرت ... وإنما قيل للبَطْن قَبْقب من القَبْقَبة، وهو صوت يُسْمَعُ من البَطْن، وكأن البطن حكاية ذلك الصوت"[٣].

ومجمل القول، أن دافع الإنسان الذاتي يجعل من صوتية التعبير وكأنها صدى للمعنى الذي يعانيه، ويعتمل في ذاته، ويتضح هذا الأمر –جلياً– لدى الشعراء، فاللفظة قبل كل شيء صوت ينطق به الإنسان، وكان من الطبيعي أن يقلِّد النطق البشري صوتاً حقيقياً؛ ليفصح عنه؛ لهذا يحافظ الأدب – وهو فن لفظي– على روابط متينة تربطه بالجرس الموسيقي للصوت.

فللنظر – مثلاً – إلى توالي القاف والضاد والراء؛ لتصوير اصطكاك أسنان الذئب في قول البحتري[٤]:

يُقضْقِضنُ عُصْلاً في أسرّتها الردّى ... كقضقْضةِ المَقْرُور أرْعَدَهُ االبَّرْدُ

---

(١) القاموس المحيط (ش أ ش أ).

(٢) ينظر: الخصائص ١٦٥/٢.

(٣) ينظر: غريب الحديث لابن قتيبة ١/ ٤٣٠.

(٤) ديوان البحتري (أبو عبادة الوليد بن يحيى التنوخي الطائي ت ٢٨٤هـ) ٢/ ٣١٨.

ولعلَّ من أروع الصيغ الشعرية التي تستنطق دلالة الجرس الذاتية تلك التي أشاعها "بدر شاكر" في بكائياته وشجنياته قصيدة (أنشودة المطر)؛ حيث استثمر فيه جرس الراء بكل إيحاءاته المولدة للدلالة:

كأنَّ أقْوَاسَ السَحابِ تَشْرَبُ الغُيُومْ
وَقَطْرَةً فَقَطْرَةً تذوبُ في المَطَر
وكَرْكَرَ الأطْفَالُ في عَرائِسِ الكُرُوم
وَدَغْدَغَتْ صَمْتَ العَصَافيرِ على الشَّجَر(١)

فإن قوام الدلالة الذاتية هو أن يصبح الأثر الصوتي محفزاً لتصور المعنى، فالأصوات فيها دليل من دلائل المعنى .

ولعلَّ من المفيد أن نذكر قول الجاحظ: "لا يكون الكلام يستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه، ولفظه معناه، ولا يكون لفظه إلى سمعك أسبق من معناها إلى قلبك"(٢).

فذاتية الصوت جرسه، وهو القوة المؤثرة التي تتحكم في دلالة الألفاظ مهما تغيرت صيغها الصرفية، فهي قوام المناسبة الطبيعية في الألفاظ.

ولعلّ ما ذهب إليه ابن جني ، قد هيأ لابن الأثير الأساس الذي أقام عليه المفاضلة بين الألفاظ باعتبارها داخلة في حيّز الأصوات، ووضع لها مقاييس الحسن والقبح من خلال ما يستحب ويستقبح من الأصوات.

ومن الجدير بالذكر أن نشير إلى ما ذكره (هورتيك) بأن هناك مئات الأمثلة التي نستقيها من أحداث الشعر، كلها تنهض دليلاً على أن الكلمة الملفوظة لم تقطع صلتها بأصلها؛ بل استبقت حقيقتها الصوتية على أن قيمتها التعبيرية تمت وترعرعت خارج المجال الصوتي، فأصبحت وسيلة من وسائل الشرح والتعليل(٣).

---

(١) ينظر: أنشودة المطر(ديوان شعر) لـ بدر شاكر السياب ص ١٦٢.
(٢) البيان والتبيين للجاحظ ١/ ١١٥.
(٣) الفن والأدب لويس هورتيك ص ١٣.

حولية كلية اللغة العربية بإيتاى البارود (العدد الثلاثون)

الفرع الثاني
محاكاة طبيعة الأحداث والأشياء
أو ما يعرف بـ "مشاكلة الأصوات للأحداث"

فإذا كانت هناك ألفاظ محاكية لأصوات الطبيعة ، فإن هناك من الألفاظ ما تحاكي المعنى مناسبة للدلالة؛ حيث يرى ابن جني: "أنهم كثيراً ما يجعلون أصوات الحروف على سمت الأصوات المعبر بها عنها فيعدلونها بها ويحتذونها عليها ، وذلك أكثر مما نقدِّره وأضعاف ما نستشعره"(١) كما عدَّه" باب واسع، ومنهجه مُتْلِئِّب عند عارفيه مأموم"(٢)، فذكر أنه وجد "كثيراً من هذه اللغة مضاهياً بأجراس حروفه أصوات الأفعال التي عبّر بها عنه "(٣)، فابن جني يستطرد في توضيح فكرة الدلالة المحاكاتية ، فيشير إلى ميزة خاصة في النظام اللغويّ العربيّ، ويسوق لنا أمثلة لفكرته ؛ لاستجلاء وظيفة القيم الخلافية للأصوات، ودلالتها في تنويع المعنى الواحد ،محاولاً الربط بين دلالة الكلمة وجرس أحد أصواتها أو حروفها، فذكر أن "الخضم" لأكل الرطب؛ كالبطيخ والقثاء ... والقَضْم للصلب اليابس. فـ (القضم) و (الخضم) مستوحاة من خصائص الصوت ، فالقاف والخاء يقتربان في المخرج، فالقاف صوت قوي لهوي انفجاري، مهموس(٤)، والخاء صوت من أقصى الحنك احتكاكي مهموس(٥)، فالقاف شديد (انفجاري)، والخاء رخو (احتكاكي)، فالشدة والرخاوة –هنا – هما اللتان حددتا المعنى عند ابن جني " فاختاروا الخاء لرخاوتها للرطب ، والقاف لصلابتها لليابس ، حذوا لمسموع الأصوات على محسوس

(١) ينظر: الخصائص ٢/ ١٥٧.

(٢) السابق نفسه.

(٣) السابق نفسه.

(٤) ينظر: علم اللغة العام د. كمال بشر – الأصوات – ص ١٠٩ ، الأصوات اللغوية د. إبراهيم أنيس صـ ٧٤–٧٣.

(٥) ينظر: علم اللغة العام د. كمال بشر ص ١٢١.

الأحداث"[١] ومن ذلك – أيضاً – قولهم: "النضح للماء ونحوه، والنضخ أقوى من النضح، فجعلوا الحاء لرقتها للماء الضعيف، والخاء لغلظتها لما هو أقوى منه"[٢].

وفي المحتسب: "النضح بالحاء غير معجمة للماء السخيف يخف أثره، وقالوا : النضخ بالخاء لما يقوى أثره فيُبلّ الثوب ونحوه بَلَلاً ظاهراً وذلك؛ لأن الخاء أوفى صوتاً من الحاء، ألا ترى إلى غلظ الخاء ورقة الحاء؟"[٣].

فالنضح (بالحاء) لرش الماء ، يقال : نضح البيت: رشَّه، ونضحت القربة: رشحت، ونضح عطشه: سكنه وروى أو شرب دون ري، ومن معاني (النضخ): اشتداد فورانه من ينبوعه، أو ما كان منه من سفل إلى علو[٤]. فابن جني – هنا – يعمد إلى كشف العلاقة بين المحسوس والمسموع، والقيمة التعبيرية للفونيم من حيث مواقع الحروف فيها، وعمليات القلب والإبدال التي تجري في تركيبها الصرفي فالصوت هنا جاء على سَمت الحدث المعبر عنه إلا إذا تغيرت حال الأكل، وتغيرت طبيعة الشيء المأكول، والواقع أن نظرة ابن جني جاءت متوافقة مع نظرة أحمد بن فارس الشدياق ؛حيث نجده يقول في كتابه (سر الليال في القلب والإبدال): "وأكثر ما يكون في القلب والإبدال في الألفاظ الدالة على القطع والكسر والخرق والهدم ، والشق والفرق والتبديد؛ لأنها كلها من جنس واحد وجلتها مأخوذة من حكاية صوت نحو: قتَّ، وقدَّ، وقضَّ، وقطَّ، وجدَّ، وجثَّ، وجزَّ..." [٥].

(١) ينظر: الخصائص ٢/ ١٦١.
(٢) السابق ٢/ ١٥٧–١٥٨.
(٣) ينظر: المحتسب لابن جني: ٢/ ١٩.
(٤) القاموس باب الحاء فصل النون (ن. ض. ح)، باب الخاء فصل النون (ن. ض. خ).
(٥) ينظر: سر الليال في القلب والإبدال ص ٥.

فهو كابن جني يتقصَّى العنصر الدلالي في اللفظة إلى مرحلة الأصل المحاكاتي للحرف، كاشفاً أثره في العملية الدلالية.

وهذا التصور المحاكاتي من ابن جني قد أقرَّ به المستشرق والفيلسوف الهولندي بوز H.G.Pos الذي ربط ما يوحي به الفونيم بمعنى الكلمة الذي هوجزء منه ، كتلك العلاقة القائمة بين الكلمة والتركيب، فيقول: "إن الانتقال من الفونيم الذي يدل على نفسه بنفسه إلى الكلمة التي تدل على شيء آخر ليس انتقالاً كبيراً إذا وضع الإنسان في ذهنه منذ البداية أن الكلمات تتألف من فونيمات ، خاصة أن المعاني التي تنشأ من ضم الكلمات في تركيبات تامة تختلف تماماً عن معاني الكلمات في حال انفرادها "[١].

والواقع أن دلالة الفونيم ووظيفته التأثيرية أمر نسبي يختلف باختلاف السياق، فصوت (الخاء)– مثلاً – في لفظ (الخضم) ذات دلالة صوتية تأثيرية، وهي الإيماد إلى عنصر الرخاوة والليونة في الشيء المخضوم، وما كان الأمر كذلك إلا؛ لأن السياق الذي ورد ت فيه جعلها في مقابلة (القضم) الذي يوحي بالشدة واليبس، كماجاء" في الخبر: قد يدرك الخضم بالقضم، أي قد يدرك الرخاء بالشدة ، واللين بالشَظَف، وعليه قول أبي الدرداء[٢]:

(يخضمون ونقضم والموعد الله)" [٣] بينما وجدنا نفس الفونيم (الخاء) الذي كان يوحي بالرخاوة في المثال السابق هو نفسه الذي يوحي بالقوة ، وذلك عند مقارنة (نضح)، و(نضخ) في قوله تعالى: ﴿**فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ**﴾ الرحمن / ٦٦، فجعلوا الحاء لرقتها للماء الضعيف، والخاء– لغلظها – لما هو أقوى منه[٤].

---

(١) Ullman s:Th Principle of semantic ,Blackwel,OXFord195,pp31-32

(٢) عويمر بن مالك بن قيس، وهو أحد الذين جمعوا القرآن حفظاً بلا خلاف، ينظر: الأعلام للزركلي ٥/ ٩٨.

(٣) ينظر: الخصائص ٢/ ١٥٧.

(٤) السابق نفسه.

فالخاء تكون عند مقابلتها بالقاف وحدة ضعيفة ، بينما تكون وحدة قوية عند مقابلتها بالحاء، وهنا يكمن دور السياق؛ ليحدد الوظيفة التأثيرية للوحدة الصوتية ، ودون النظر إلى هذا السياق تصبح هذه الدلالة أمراً احتمالياً(١).

ومن ذلك – أيضاً – ما ذكره أبو عبيد في حديث أبي هريرة ﷺ" أنه مرَّ بمروان وهو يبني بنياناً له، فقال: ابنوا شديداً وأمِّلوا بعيداً، واخضموا فسنقضم"(٢).

فقوله (اخْضموا فسنقضم)،" فالخَضْم" – هنا – أشد في المضغ وأبلغ من القضم، وهو بأقصى الأضراس والقضم بأدناها"(٣) فأبو عبيدة – هنا – يذكر القيمة التعبيرية لكل من الخاء والقاف في (خضم وقضم)، فجعل الخضم أبلغ وأقوى من القضم، وهو بذلك خالف ابن جني.

والواقع أن ما ذهب إليه ابن جني يؤيده أمران:

الأول: ما ذهبت إليه الدراسات الصوتية الحديثة من أن الخاء: "حرف مهموس رخو مستعل، والقاف شديدة مجهورة مستعلية منفتحة"(٤)، فالقاف منفتح مصمت أقوى من الخاء(٥).

(١) ينظر : دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث – دراسة تحليلية للوظائف الصوتية والبنيوية والتركيبية في ضوء نظرية السياق د. عبد الفتاح عبد العليم البركاوي ص ١١٧.

(٢) ينظر: الفائق في غريب الحديث محمود بن عمر الزمخشري ١/ ٣٧٩، والنهاية في غريب الحديث والأثر ٢/ ١١١.

(٣) ينظر: غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي ٥/ ٢١٠.

(٤) ينظر: المختصر في أصوات اللغة العربية دراسة نظرية وتطبيقية د. محمد حسن جبل ص ٩١.

(٥) السابق ص ٩٤.

أما الآخر فما ذهب إليه أبو عبيد نفسه في تفسيره هذا الحديث؛ حيث قال: "وإنما أراد أبو هريرة بهذا مثلاً ضربه، يقول: استكثروا من الدنيا، فإنا سنكتفي منها بالدُّون"(١)، فمن رضي بالدُّون، فحاله شديدة تحتاج إلى القضم لا الخضم، فناسب المعنى القوي الصوت القوي ، والمعنى الضعيف الصوت الضعيف.

ويقول ابن جني– أيضاً – في تخصيص (القدّ) للقطع طولاً ، و(القطّ) عرضاً: "ومن ذلك القدّ طولاً، والقَطّ عرضاً. وذلك أن الطّاء أحصر للصوت وأسرع قطعاً من الدّال . فجعلوا الطّاء المناجزة لقطع العَرْض؛ لقربه وسرعته، والدّال المماطلة لما طال من الأثر، وهو قطعه طولا)(٢).

ويعني كلام ابن جني من الوجهة الصوتية أن الزمن الذي تستغرقه "الدّال" في النطق أطول من الزمن الذي تستغرقه "الطّاء". فخصَّ الزمنَ الأطول بالحدث الأطول ، والزمنَ الأقصر بالحدث الذي يحتاج إلى زمن أقل ... ومن أجل الدلالة على أن القطع كان طولياً في ثوب يوسف عليه السلام، وهو يحاول التخلص من امرأة العزيز والفرار منها ، وهي خلفه ترده إليها ، فأمسكت بقميصه ، ولشدة الجذب انقطع طولاً؛ فقدت قميصه من دبر قال تعالى: ﴿**فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ**﴾(٣) يوسف /٢٨.

فالطاء والدال كلاهما حرف شديد يمنع الصوت أن يجري فيه، ولكن الإطباق في" الطاء" جعلها أحصر للصوت، وأسرع قطعاً من" الدّال". فالأمثلة كثيرة في هذا الباب، ولقد بلغ إيمانه بهذه الفكرة إلى حدّ اتّهام من لم يفطن

(١) ينظر: غريب الحديث لأبي عبيد ٥/ ٢١٠.
(٢) ينظر: الخصائص ٢/ ١٥٨.
(٣) ينظر: ابن كثير ٢/ ٤٧٥.

إليها بأنه لم ينعم النظر فقعد به فكره عنها، أو إلى اتهام الرُّواة بأنهم قصروا في الرواية، كما يستبعد وقوع هذه الأمثلة من باب المصادفة.

ويمكن حمل هذه الفكرة إلى وضع الخليل بن أحمد للقوانين الصوتية التي تتصل بعلاقة الأصوات بعضها ببعض داخل البنية ، ففي التمييز بين السين والدال والتاء يقول الخليل: "أن الدال لانت عن صلابة الطاء وارتفعت عن خفوت التاء ، وصار مخرج السين بين مخرج الصاد والزاي"(١)، وأيضاً يقول سيبويه عن الصفات الفارقة وأثرها في تغير المعنى أثناء حديثه عن صفات الحروف وأقسامها: " ... ولولا الإطباق لصارت الطاء دالاً، والصاد سيناً والظاء ذالاً، ولخرجت الضاد من الكلام ؛ لأنه ليس شيء من موضعها غيرها ..." (٢).

❁❁❁❁❁

(١) العين ١/ ٥٣-٥٤.

(٢) الكتاب ١/ ٤٤٩.

حولية كلية اللغة العربية بإيتاى البارود (العدد الثلاثون)

الفرع الثالث
محاكاة الحركة

ومما يجدر الإشارة إليه أن ابن جني لم يقتصر في بيان الأثر المحاكاتي على فونيم الحرف (الصوامت) – فقط – ، وإنما جعله– أيضاً – في فونيم الحركات (المصوتات)؛ إذ الحركة صوت في الكلمة وجزء لا يتجزأ منها ، فحركة الحرف لا تنفصل عنه أثناء نطقه ولا عبرة بكتابتها منفصلة عنه؛ فالحركات فونيمات أساسية أو أولية خلافا لفيرث الذي يجعل المصوتات من قبيل (البروسودات) Prosodics (الظواهر التطريزية) أو الملامح الصوتية الثانوية؛ لاتصالها بأكثر من وحدة فونيماتية.

إذن فكما أن بين الحروف (الصوامت) مقابلات استبدالية تعمل على تغيير المعنى، فكذلك بين الحركات (الصوائت) في الأغلب، ولقد أوضح لنا الأستاذ دكتور"تمام حسان" دور المصوتات الوظيفية "بأنها تتمثل مناطاً لتقليب صيغ الاشتقاق المختلفة في حدود المادة الواحدة، فالفارق بين (قتل وقتيل ومقتول) وهلم جرّا من مشتقات (ق ت ل) فرق يأتي في تنويع حروف العلة لا الحروف الصحيحة، ومن هنا تتحمل حروف العلة بالتعاون مع حروف الزيادة وموقعية الكمية (التشديد والمدّ) أخطر دور في تركيب الصيغ الاشتقاقية العربية"(١).

وقد أدرك ابن جني دور المصوتات في تغيير المعنى في (باب الدلالة اللفظية)، فنجده يقول: "قولهم للسُلَّم مِرْقاة (بكسر الميم) وللدرجة مَرْقاة (بفتح الميم)، فنفس اللفظ يدل على الحدث الذي هو الرقيّ، وكسر الميم يدل على أنها مما ينقل ويعتمل عليه وبه كالمِطرقة، والمئزر، والمِنجل وفتحة ميم مَرْقاة تدلّ على أنه مستقِرفي موضعه، كالمنارة والمثابة ..." (٢).

(١) ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها د. تمام حسان ص ٧٢.

(٢) الخصائص ٣/ ١٠٠ وما بعدها.

وأيضاً "قولهم (القَوام) بفتح القاف، وقولهم (القِوام) بكسر القاف، فالمعنيان اختلفا باختلاف الحركة، فالأولى بمعنى الاعتدال في الأمر، ومنه قولهم: جارية حسنة القوام، إذا كانت معتدلة الطول والخلق ذلك قواماً أي ملاكاً للأمر ونظاماً وعصاماً"(١).

فالمتمعن في المثالين السابقين يجد أن للحركة قيمة استبدالية ذات وظيفة دلالية محاكاتية، فالكسرة – وهي الأقوى –؛ اختاروها – في المثال الأول – للكل (السلّم) ، بينما اختاروا الفتحة – وهي الأضعف – للجزء (الدرجة)، ومما لاشك فيه أن الكل أقوى من الجزء، بينما اختاروا – في المثال الآخر – الفتحة مع المصدر، واختاروا الكسرة مع اسم الآلة، والشيء المحسوس أقوى من الشيء المعنوي المجرد.

وأيضا في موضع آخر لابن جني "الذِّل في الدابّة: ضد الصعوبة، والذُّل للإنسان وهو ضد العزّ، وكأنهم اختاروا للفصل بينهما الضمة للإنسان والكسرة للدَّابة؛ لأن ما يلحق الإنسان أكبر قدراً مما يلحق الدابّة، واختاروا الضمة لقوتها للإنسان والكسرة لضعفها للدّابة"(٢).

وهكذا يجعل ابن جني من الضمة والكسرة فونيمين يوجه كلّ منهما المعنى ويخصصه؛ فالكسرة لضعفها تخصص الذِّل إذا كانت على الذال للدابّة، وإذا كانت الضمة على الذال فتخصص كلمة الذُّل للإنسان؛ وذلك لقوتها. وكذلك نجد عنده "وخصّوا غَلَا في القول بالغُلُوّ؛ لأن لفظ فُعُول أقوى من لفظ فَعَال؛ للواوين والضمتين، وضعف الألف والفتحتين . وذلك أن الغُلُوّ في القول أعلى وأعنى عندهم من غلاء السعر"(٣).

فجعل ابن جني الواو والضمة – لقوتهما ـ للغلو في القول ؛ لأنه أمر معنوي، بينما جعل الألف والفتحة – لضعفهما – في الغلاء الموجّه للسعر.

(١) المحتسب ٢/ ١٢٥.
(٢) ينظر: المحتسب ٢/ ١٨.
(٣) ينظر: المحتسب ٢/ ١٤٠.

كما نقل ابن جني عن سيبويه قوله في المصادر التي جاءت على وزن (الفَعَلان) بأنها "تأتي للاضطراب والحركة نحو النقزان والغليان والغثيان فقابلوا بتوالي حركات المثال توالي حركات الأفعال"(١)، وهي كذلك عند ابن جني "أكثر ما جاء فَعَلان في الأوصاف والمصادر مثل يوم صَخَدان ولَهيان لشدة الحر، وأما المصادر فنحو: الوهجان والنَّزَوان والغَلَيَان، والغَثَيَان والقَفَزَان والنَّقَزَان، والمعنى- في الوصف والمصدر جميعاً - من هذا المثال الحركة والخِفَّة والإسراع"(٢)، كما ذكر أن أبنية (الفَعْلَلَة) تأتي للتكرير نحو الزعزعة، والقلقلة والصلصلة والقعقعة والجرجرة ... (٣)، فتكرير الصوت يصوِّر تكرير المعنى والحدث.

وأيضا "(الفَعَلى) في المصادر والصفات إنما تأتي للسرعة نحو البَشَكى والجَمَزى والوَلَقى ... فجعلوا المثال الذي توالت حركاته للأفعال التي توالت الحركات فيها"(٤).

وبهذا نجد كيف أن المصوتات – أيضاً- قد استعملت مقابلاً استبدالياً ترتب عليه تغيير في المعنى. كما أن توالي الحركات في الصيغة تناسب تتابع الحركة في الحدث؛ فكان في ذلك مناسبة بين اللفظ ومعناه؛ إذ حاكت حركات اللفظ المتتابعة حركات الحدث المتتالية.

فهكذا نجد أن ابن جني كان رائداً في إبراز القيمة البيانية للصوت العربي بنوعيه (الصامت والصائت).

والواقع أنه قد تنبه بعض العلماء لهذه القيمة الدلالية للحرف، فقد أوضح الإمام ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ) وقوع المناسبة بين اللفظ ومعناه قد تكون نتيجة تناسب تتابع الحركات في الحدث فيقول: "المناسبة الحقيقية

(١) ينظر: الخصائص ٢/ ١٥٢، نقلا عن سيبويه في الكتاب ٢/ ٢١٨.
(٢) ينظر: المحتسب ١/ ١٣٨.
(٣) ينظر: الخصائص ٢/ ١٥٣.
(٤) السابق نفسه.

معتبرة بين اللفظ والمعنى طولاً وقصراً، وخفةً وثقلاً، وكثرة وقلةً، وحركةً وسكوناً، وشدةً وليناً، فإن كان المعنى مفرداً أفردوا لفظه، وإن كان مركباً ركّبوا اللفظ، وإن كان طويلاً طوّلوه، كالقطنط والعشنق للطويل ، فانظر إلى طول هذا اللفظ لطول معناه ، وانظر إلى لفظ بحتر وما فيه من الضم والاجتماع؛ لما كان مسماه القصير المجتمع الخلْق، وكذلك الحديد والحجر والشدة والقوة ونحوهما تجد في ألفاظها ما يناسب مسمياتها ... وكذلك لفظ الدوران والنزوان والغليان وبابه في لفظها من تتابع الحركة ما يدل على تتابع حركة مسماها ... فإنه ينشأ من جوهر الحرف تارة، وتارة من صفته ومن اقترابه بما يناسبه، ومن تكرره ومن حركته وسكونه ومن تقديمه وتأخيره"(١).

❖❖❖❖❖

(١) ينظر: بدائع الفوائد ابن القيم الجوزية ١/ ١٠٨.

حولية كلية اللغة العربية بإيتاى البارود (العدد الثلاثون)

الفرع الرابع
محاكاة قوة الأحداث أو كثرتها

حيث جعل ابن جني – أيضاً – تكرير العين قد يأتي دليلاً على تكرير الفعل ، وذلك في قوله: "وأما فعّل فللتكثير نحو: غلّق الأبواب وقطّع الحبال، وكسّر الجرار"(١) وفي موضع آخر "... ويكفيك من ذلك قولهم: قَطَّع وقَطَّع، وكَسَرَ وكَسَّرَ. زادوا في الصوت لزيادة المعنى"(٢).

فقد عقد ابن جني صلة بين عين الكلمة المضعَّف وبين المعنى القوي تحت عنوان: (باب في قوة اللفظ لقوة المعنى) (٣)، وضرب لنا أمثلة لذلك ،فجعله دلالة على تكثير الفعل نفسه وتقويته والمبالغة في حصوله، فلما تكررت عين الكلمة ، وهي المحصنة من الجانبين بالفاء واللام، أي أنها قوية حتى لوبقيت مفردة غير مكررة ، فما كرروها إلا ليدلوا بذلك على قوة المعنى يقول ابن جني: "ومن ذلك أنهم جعلوا تكرير العين في المثال دليلاً على تكرير الفعل فقالوا: كسَّر، وقطَّع ، وفتَّح ، وغلَّق ، وذلك أنهم لما جعلوا الألفاظ دليلة المعاني ، فأقوى اللفظ ينبغي أن يقابل به قوة الفعل ... والعين أقوى من الفاء واللام وذلك ؛ لأنها واسطة لهما ومكنوفة بهما فصارا كأنهما سياج لها ومبذولان للعوارض دونها ... فهذا أيضاً من مساوقة الصيغة للمعاني"(٤) ومن الأمثلة – أيضاً – التي ضربها ابن جني: اخشوشن، واعشوشب، أحلولى، اخلولق، واغدودن... ونحوه. يقول ابن جني: "هذا فصل من العربية حَسَن. منه قولهم: خَشُن واخشوشن . فمعنى خَشُن دون معنى اخشوشن؛ لما فيه من تكرير العين وزيادة الواو، ومنه قول عمر – رضي الله عنه – اخْشوشنوا

(١) الخصائص ١/ ٢٢٣.
(٢) المحتسب ٢/٢١٠.
(٣) الخصائص ٣/ ٢٦٤.
(٤) الخصائص ٢/ ١٥٥.

وتمعددوا: أي اصلبوا وتناهَوا في الخُشْنة. وكذلك قولهم : أعشب المكانُ ، فإذا أرادوا كثرة العُشْب فيه قالوا: اعشوشب ..." (١).

فما قال به النُّحاة من الزيادة ، فإن الجرجاني تلقفه؛ ليحيله إلى تحليلات إبداعيه، فلا يتصور أن تسلب الكلمة دلالتها، وتقول بزيادتها، ثم لا تعطيها دلالة أخرى، وأن تخليها من أن يراد بها شيء على وجه من الوجوه؛ لأن وصف اللفظ بالزيادة يفيد أن لا يراد بها معنى، وأن يجعل كأن لم يكن لها دلالة قط(٢).

والواقع أن ما ذهب إليه ابن جني أمر منطقي خاضع للتصور العقلي، كما أن لها ما يؤيده في التعبير القرآني في أكثر من موضع؛ فللنظر ـ مثلاً – إلى قوله تعالى: ﴿**وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ**﴾ يوسف /٢٣، فلقد عبَّر القرآن الكريم عن واقع ملموس؛ حيث إن امرأة العزيز قد بالغت في الحيطة والحذر؛ فأحكمت غلق الأبواب؛ حتى لا يفتضح أمرها، وقد يكون التضعيف للتكرير؛ حيث كانت الحجرات في القصر متعددة الأبواب؛ فأحكمت أغلاقها؛ فناسب ذلك تكرار عين الفعل للحدث.

كما أن المتمعن في لفظي" قدر واقتدر في قوله تعالى ﴿**كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ**﴾ القمر/٤٢"، يعلم – بلا شك – أن صيغة مقتدر أقوى دلالياً وتوظيفياً من صيغة قادر، وإنما عدل إليه ؛ للدلالة على تفخيم الأمر وشدة الأخذ الذي لا يصدر إلا عن قوة الغضب أو للدلالة الصوتية على بسطة القدرة؛ حيث إن المقتدر أبلغ في البسطة من القاد؛ وذلك

(١) السابق ٣/ ٢٦٤.

(٢) أسرار البلاغة في علم البيان ص ١٨٩.

أن مقتدراً اسم فاعل من "اقتدر"، وقادر اسم فاعل من" قدر" ولاشك أن افتعل أبلغ من فعل(١).

والواقع أن تعليلات ابن جني منطقية خاضعة للتصور العقلي ، وفي التعبير القرآني ما يؤكد ما ذهب إليه، فقد قال تعالى: ﴿**فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ**﴾ النور / ٣٦- ٣٧، فهؤلاء الموصفون بالرجولة – وهو وصف يوحي بالقوة المبذولة في طاعة الله ويوحي بصدق العزيمة وقوة الإرادة والإخلاص في الطاعة؛ حتى أنهم لم تشغلهم الدنيا عن الله وعبادته – لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله، فهم لا يفترون عن تسبيحه ويداومون على طاعته في جميع الأوقات (بالغدو والآصال) ... والزمن لا يخرج عن هذين الوقتين؛ إذ هما طرفا النهار، فناسب التكرار في الحدث تكرار عين الفعل.

وفي قوله تعالى –أيضاً – ﴿**فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا**﴾ نوح / ١٠-١١.

فإن صيغة "غفّار" أبلغ وأقوى من صيغة "غافر"؛ لأن " فعَّالاً" يدل على كثرة صدور الفعل و"فاعلاً" لا يدل على ما دل عليه الآخر(٢). وأيضاً عندما نقف عند توظيف صوت (الصاد) في قوله تعالى: ﴿**قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ**﴾ يوسف /٥١، فإننا نستمع إلى دلالة الصوت المدويّ؛ إذ كانت الصاد واضحة الصدور من المخرج الصوتي بين حرفين (الحاء والصاد) تكراراً في البناء الصوتي مرتين، فكونتا لفظة (حصحص) واضحة الظهور باكتشاف الأمر، وهنا قد يمتلك العجب لدى اختيار هذا اللفظ في أزيزه

(١) ينظر: المثل السائر ٢/ ٢٧٩، و الصوت اللغوي في القرآن الكريم محمد الصغير ص١٨١.

(٢) المثل السائر ٢/ ٢٥٧، ومن أراد الاستزادة فليرجع إلى الخصائص في (باب قوة اللفظ لقوة المعنى) ٣/٢٦٤ وما بعدها.

ووضوح أمره وظهور دلالته. فإذا شددت(الصاد) كانت دلالتها الصوتية، وإرادتها المعنوية أوضح لزوماً، وأشد استظهاراً وأكثر إمعاناً كما في قوله تعالى: ﴿**أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ* وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ**﴾ العاديات/٩-١٠، فالصوت في صيغة الإرعاب وفي سياق الوعيد بدلالته التخيلية، قد نلمس فيه نزع ما في القلوب من أسرار، أو استخراج ما فيها من خفايا.

ومما يجب التنبيه عليه أنه إذا وردت لفظة من الألفاظ يجوز حملها على التضعيف– الذي هو طريق المبالغة – وحملها على غيره أيضاً ، ومن ذلك قول البحتري في قصيدة مدح بها الخليفة المتوكل، حيث ذكر فيها حديث الصلح بين بني تغلب:

تألفتهم من بعد ما شردت بهم ... حفائظ أخلاق بطيء رجوعها

فأبصر غاويها المحجة فاهتدى ... وأقصر غاليها وداني شسوعها

فقوله (تألفتهم من بعد ما شردت بهم) يجوز أن تخفف لفظة (شردت)، ويجوز أن تثقل، والتثقيل هو الوجه؛ لأنه في مقام الإصلاح بين قوم تنازعوا واختلفوا وتباينت قلوبهم وأراؤهم وهكذا يجري الأمر(١).

كما نبّه ابن الأثير أن قوة اللفظ لقوة المعنى لا تستقيم إلا في نقل صيغة إلى صيغة أكثر منها؛ كنقل الثلاثي إلى الرباعي، وإلا فإذا كانت صيغة الرباعي – مثلاً – موضوعة لمعنى فإنه لا يراد به ما أريد من نقل الثلاثي إلى مثل ذلك الصيغة، ثم نجده يضرب لذلك – مثلاً – فيقول: " بأنه إذا قيل في الثلاثي قتل ثم نقل إلى الرباعي فقيل قتّل – بتشديد التاء – فإن الفائدة من هذا النقل هي التكثير: أي أن القتل وجد منه كثيراً ، وهذه الصيغة الرباعية بعينها لو وردت من غير نقل لم تكن دالة على التكثير، كقوله تعالى: ﴿**وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيمًا**﴾ النساء/ ١٦٤، فإن كلَّم على وزن قتّل، ولم يرد به التكثير بل أريد به أنه خاطبه سواء كان خطابه إياه طويلاً أو قصيراً قليلاً أو

(١) ينظر: المثل السائر ٢/٢٥٩.

كثيراً، وهذه اللفظة الرباعية وليس لها ثلاثي نقلت عنه إلى الرباعي لكن قد وردت بعينها، ولها ثلاثي ورباعي، فكان الرباعي أكثر وأقوى فيما دل عليه من المعنى، وذاك أن تكون كلّم من الجرح أي جرح ، ولها ثلاثي وهو "كَلَمَ" مخففاً: أي جرح، فإذا وردت مخففة دلّت على الجراحة مرة واحدة، وإذا وردت مثقلة دلّت على التكثير"[١].

ومن ذلك – أيضاً – قوله تعالى ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ المزمل / ٤ . فإن لفظة ﴿رَتِّل﴾ على وزن لفظة قَتّل ومع هذا ليست دالة على الكثرة ، وإنما أراد به أن تكون القراءة على هيئة التأني والتدبر وسبب ذلك أن هذه اللفظة لا ثلاثي لها؛ حتى تنقل عنه إلى رباعي وإنما هي رباعية موضوعة لهذه الهيئة المخصوصة من القراءة وعلى هذا فلا يستقيم معنى الكثرة والقوة في اللفظ والمعنى إلا بالنقل من وزن إلى وزن أعلى منه فاعرف ذلك"[٢].

(١) السابق نفسه.

(٢) السابق ٢/ ٦٠.

الفرع الخامس

محاكاة الترتيب

وقد أدرك ابن جني أهمية هذا النوع ، وترتيب الأحداث بناء على ترتيب أصواتها في الكلمة، فيقول: "نعم، ومن وراء هذا ما اللطف فيه أظهر، والحكمة أعلى وأصنع؛ وذلك أنهم قد يضيفون إلى اختيار الحروف وتشبيه أصواتها بالأحداث المعبَّر عنها بها ترتيبَها ، وتقديم ما يضاهي أوَّل الحدث، وتأخير ما يضاهي آخره ، وتوسيط ما يضاهي أوسطه؛ سَوْقاً للحروف على سَمْت المعنى المقصود، والغرض المطلوب "[1] فهو – هنا– يتبنى أحداث المعنى على ترتيب حروفها فكل معنى يتقابل مع صوت ، وتتابع أحداث الفعل تبعاً لتوالي الأصوات ، فنجده في موضع آخر يقول في بحث: "فالباء لغلظها تشبه بصوتها خفقة الكف على الأرض"[2] وهي أول مراحل البحث عن شيء قوبلت بالباء التي تحكي هذا الفعل بصوتها أو بجرسها.

"والحاء لصَحْلها تشبه مخالب الأسد وبراثن الذئب ونحوهما إذا غارت في الأرض "[3] وهذه المرحلة الثانية من مراحل البحث، والتي تقابله "الحاء" والتي تصوِّر بجرسها حركة اليد أثناء غوصها في التراب، "والثاء للنفثِ، والبث في التراب وهذا أمر تراه محسوساً محصَّلا"[4]، وهي المرحلة الثالثة من مراحل البحث، وهو تحريك التراب وبثّه وتفريقه لإبعاده، والذي تمثله حرف الثاء.

ومن ذلك أيضاً "قولهم شدّ الحبل ونحوه: فالشين بما فيها من التفشي تشبه بالصوت أول انجذاب الحبل قبل استحكام العقد، ثم يليه إحكام الشد والجذب وتأريب العَقْد ... ومن ذلك جرّ الشيء يجرّه، قدَّموا الجيم؛ لأنها حرف شديد، وأول الجرّ بمشتقةٍ على الجارّ والمجرور جميعاً، ثم عقَّبوا ذلك بالراء،

---

(١) الخصائص ٢/ ١٦٢.

(٢) السابق نفسه.

(٣) السابق نفسه.

(٤) الخصائص ٢/ ١٦٣.

وهو حرف مكرر، وكرّروها مع ذلك في نفسها، وذلك؛ لأن الشيء إذا جُرّ على الأرض في غالب الأمر اهتزَّ عليها، واضطرب صاعداً عنها ونازلاً إليها، وتكرّر ذلك منه على ما فيه من التعتعة والقلق، فكانت الرّاء لما فيها من التكرير"[(١)].

إلاّ أنه يجب الاعتراف بأن ابن جني لم يستطع أن يطبق ذلك إلا على هذه الألفاظ الثلاثة (بحث ـ شدَّ ـ جرَّ) دون أن يتعدى ذلك إلى دعاء الاستقصاء؛ لذلك نجده يقول: "قد يضيفون إلى اختيار الحروف وتشبيه أصواتها بالأحداث المعبَّر بها عنها ترتيبَها ..." [(٢)]، فنلمح من تعبيره بـ (قد) أنه يرى في ذلك ضرباً من الترف اللغوي الذي لا يلزم المتكلمون أنفسهم به.

ومما يقرب شبهه بذلك صيغة (استفعل) فهو في أكثر أحواله للطلب؛ لأن الحروف رتبت حسب المعنى، فالأفعال (سقى – ووهب – وطعم) كل منها يدل على معنى في نفسه، واستوهب لطلب الهبة ، واستطعم لطلب الطعام؛ فرتبت الحروف على ترتيب الأفعال[(٣)] ولكن بزيادة الألف والسين والتاء عليها أكسبتها معنى الطلب، فصارت استسقى لطلب السقاية.

وخلاصة القول أنه لما كان الطلب يتقدم حدوث الفعل جاءوا بالحروف الدالة عليه متقدمة الحدث ، وتتصدر الفعل؛ ليتناسب اللفظ والمعنى. فناسب الطلب المتقدم تقديم ما يدل عليه، وهو تلك الأحرف المزيدة.

(١) السابق ١٦٣-١٦٤.
(٢) السابق ٢/ ١٦٢.
(٣) الخصائص ٢/ ١٥٢- ١٥٣، والمحتسب ٢/ ٢١٠.

المطلب الثاني

تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني

ويشتمل على أربعة أفرع:

يرى ابن جني أن المعاني إذا تقاربت تقاربت الألفاظ الدالة عليها، ولقد أشار إلى ذلك في "باب في تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني"[١] الذي استهله بقوله: "هذا غور من العربية لا ينتصف منه ولا يكاد يحاط به. وأكثر كلام العرب عليه ، وإن كان غفلاً مسهواً عنه"[٢].

فهو يرى أنه ما دامت الألفاظ أوعية المعاني وأدلتها ، كان من البديهي والمنطقي أن المعاني إذا تقاربت، تقاربت الألفاظ الدّالة عليها ، وهذا يستتبع أن تكون للأصوات قيمة تعبيرية ودلالة ذاتية وإيحاء بالمعنى وإيماء إليه، وأن تكون بين الأصوات ودلالتها صلة طبيعية ، فتقارب الألفاظ إنما يتم بالصلات الصوتية بينهما سواء في المخرج –هو ما سمّاه البعضُ بالمتجانسة–، أو في الصفة. وهذا يعني أن الانتقال من المعنى العام للفظ إلى معنى آخر يتطلب استبدالاً فونيمياً نوعياً، أما تنويع المعنى وتخصيصه دون الخروج من دائرة المعنى العام فيتطلب استبدالاً في صفات الفونيم لا في نوعه أي مناسب في المخرج .كالجهر والهمس

وقد ضرب لنا ابن جني عدداً من الحالات التي تظهر فيها تلك العلاقة والمضارعة على النحو التالي:

(١) الخصائص ٢/ ١٤٥– ١٥٢.

(٢) السابق ٢/ ١٤٥.

الفرع الأول
كلمات ثلاثية متفقة في صوتين
متضارعة في صوت واحد

ذكر لنا ابن جني أمثلة تؤيد فرضيته كقوله: (أزَّ) و(هزَّ) (ع س ف) و(أ س ف) حيث تقارب مخرجا كلٌّ من الهمزة والهاء في المثال الأول؛ لأن الكلمتين تؤديان معنىً واحداً، كما أن تأدية المعنى – أيضاً – في الهمزة أقوى من الهاء، كذلك تقارب مخرجا كلٌّ من :العين والهمزة في المثال الآخر تبعاً لتقارب معاني الكلمتين، وإن كانتا الهمزة أقوى من الهاء وأكثر قوة في تأدية المعنى[١]؛ لذلك كان"الأزُّ" أعظم في النفوس من "الهزّ"؛ لأنك قد تهزّ ما لا بال له؛ كالجذع وساق الشجرة ... كما أن أسف النّفس أغلظ من العسف"[٢].

ومنه (ق ر م) و (ق ل م) فالأولى، وهي الفقرة التي تحزُّ على أنف البعير. وقريب منه: قلَّمتُ أظافري؛ لأن هذا انتقاص للظفر، وذلك انتقاص للجلد، فالرّاء أخت اللام والعملان متقاربان[٣].

يقول ابن جني: "واعلم أن العرب تقارب بين الألفاظ والمعاني إذا كانت عليها أدلة وبها محيطة، فمن ذلك ما نحن عليه وهو نحت ينحت ، وقد قالوا نحط ينحط إذا زفر في بكائه، فكان ذلك الضغط الذي يصحب الصوت ينال من آلة النفس ويحثها ويسفنها ، فيكون كالنحت لما ينحت ؛ لأنه تحيف له وأخذ منه. ونحو من ذلك قولهم في تركيب: ع ص ر، ع س ر، ع ز ر. فالعصر شدة تلحق المعصور، والعَسَر شدة الخُلُق والتغرير للضرب، وذلك شدة لا محالة، فالشدة جامعة للأحرف الثلاثة. ومنه تركيب ج ب ر، و ج ب ل، و ج ب ن للالتئام والتماسك[٤].

---

(١) ينظر : الخصائص ٢/ ١٤٦.
(٢) السابق نفسه.
(٣) السابق ٢/ ١٤٧.
(٤) السابق ٢/ ١٥١.

ومنـه تركيـب (ع ل م) و(ع ر م)، و(ح م س) و(ح ب س) و(ع ل م) و(ع ل ب).

ومنه (ج رف) و (ج ل ف) و (ج ن ف) فمن الأول: جرفتُ الشـيءَ: أمَلْته عمّا كان عليه، وجلفتُ القلمَ: أخذت جُلْفته، والجُلْفة من القلم: ما بين دبراه إلى سنته. ومنه قول عبد الحميد لمسلم بن قتيبة ورآه يكتب رديئاً: "إن كنت تحب أن تجوّدَ خطَّكَ فأطِلْ جَلْفَتَكَ وأسْمِنْها وحرِّف قَطَّتَكَ وأيْمِنْها"[1] قال: ففعلتُ فجاد خطي. والجَنَفُ: الميل عن الحق. قال تعالى: ﴿**فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا**﴾ البقرة /١٨٢ أي: ميلاً[2] وقال ابن جني: "إذا جلفت الشيء أو جرفته فقد أمَلْته عمّا كان عليه ..." [3] فاللام والراء والنون أخوات.

❁❁❁❁❁

(١) القاموس باب الفاء فصل اللام ج . ل . ف.

(٢) ينظر: مفردات الراغب الراغب للأصبهاني ص ٩٩.

(٣) الخصائص ٢/ ١٤٧.

حولية كلية اللغة العربية بإيتاى البارود (العدد الثلاثون)

الفرع الثاني
المضارعة في الأصل الواحد بالحرفين

بأن يتفق اللفظان الثلاثيان في صوت واحد ويختلفان في صوتين متقاربين في المخرج ، وذلك نحو (س ح ل) و (ص هـ ل).

يقول ابن جني: "وقد تقع المضارعة في الأصل الواحد بالحرفين؛ نحو قولهم: السّحِيل والصهِيل، وذاك من (س ح ل) وهذا من (ص هـ ل) والصاد أخت السين، كما أن الهاء أخت الحاء"[١] والواقع أن ما ذهب إليه ابن جني في المثال السابق فيه وجهة نظر؛ حيث إن "السحيل" "والصهيل" أصلان لا أصل واحد.

ومنه –أيضاً–(س ح ل) و (ز ح ر) الزحير والزحار والزحارة: الصوت والنَّفَس بأنين[٢] والزاي هنا أخت السين، واللام أخت الراء .

يقول ابن جني :" وتجاوزوا ذلك (أي المضارعة بحرف أو حرفين كما هو الحال في الضرب الثاني ... [٣].

❁❁❁❁❁

(١) ينظر: الخصائص ٢/ ١٤٩– ١٥٠.

(٢) القاموس (س ح ل) باب اللام فصل السين ، (ز ح ر) باب الراء فصل الزاي.

(٣) ينظر: الخصائص ٢/ ١٥.

الفرع الثالث
المضارعة بالأصوات الثلاثة أصول المادتين المتقاربتين في المعنى

وقد ضرب لنا ابن جني أمثلة على هذا النوع نحو: (الغَدْر) و (الخَتْل)، فالغدر ضد الوفاء. والختل: الخديعة، والغين أخت الخاء، والدال أخت التاء، والراء أخت اللام[١].

(ع د ن) و (أ ط ر) عدن بالمكان: أقام به. وتأطّر: تحبّس، وتأطَّرتْ المرأةُ : أقامت في بيتها، فبين اللفظين تقارب في المعنى[٢].

ومنه (ح ل س) و (أ ز ر) يقال: هو حلس في بيته: ملازم له، وأرز إلى الشيء: اجتمع نحوه ... فبين المعنيين واللفظين تقارب، فالحاء أخت الهمزة، واللام أخت الراء والسين أخت الزاي[٣].

ومنه (س ل ب) و(ص ر ف): إذا سلب الشيء فقد صرفه عن وجهه ، فبين اللفظين والمعنيين تقارب أيضاً ... ونحوه نحو (أ ف ل) و (غ ب ر) و(أ ر ف) و (ع ل م).

فبين (أرف) و(علم) تقارب في اللفظ واضح ، فالأرفة : الحد بين الأرضين[٤] فكأن هذا الحد علامة لكل أرض، وأفل أفولاً: غاب، والغبور: الذهاب.

و(ص هـ ل) و (زأ ر) و(ش ر ب) و(ج ل ف)، و (ق ف ز) و(ك ب س)[٥]، (ع ص ر) و (أ ز ل) أزل الشيءَ يأزله: حبسه، والعصر: ضرب من الحبس، والعين أخت الهمزة ، والصاد أخت الزاي، والراء أخت اللام.

---

(١) الخصائص ٢/ ١٥٠.
(٢) السابق نفسه.
(٣) الخصائص ٢/ ١٥٢.
(٤) القاموس (أ . ر. ف) باب الفاء فصل الهمزة.
(٥) السابق ٢/ ١٥٠- ١٥٢.

يقول ابن جني: " ... إلى أن ضارعوا بالأصول الثلاثة: الفاء والعين واللام فقالوا: عصر الشيء، وقالوا: أَزَله إذا حبسه، والعَصْر ضرب من الحبس ، وذلك من (ع ص ر) وهذا من (أز ل) والعين أخت الهمزة، والصاد أخت الزاي، والراء أخت اللام"(١).

ويقول أيضا: "أصل (ج د ل) في الكلام :القوة، و منه قولهم :غلام جادل: إذا ترعرع وقوي ... ونحو منه لفظاً قولهم: ظبي شادن: أي قد قوي واشتدّ، والشين أخت الجيم والنون أخت اللام"(٢).

ويمضي ابن جني في ضرب الأمثلة ؛ ليبرهن على فرضيته – نحو: (س ل ب) و (ص ر ف) و(ز أ ر) و (س ع ل) و (ح ل س) و (أ ز ر) و(ع د ن) و (أ ط ر) – مؤكداً بأن هذه الصنعة ليست بالمذهب السَّهل. يقول: "وهذا النحو من الصنعة موجود في أكثر الكلام وفَرْش اللغة، وإنما بقي من يثيره ويبحث في مكنونِه، بل مَنْ إذا أوضِح له، وكُشِفت عنده حقيقته طاع طبعُه لها فوعاها وتقبّلها. وهيهات ذلك مطلبا، وعزّ فيهم مذهبا ! وقد قال أبو بكر: من عرف أَلِف، ومن جهِل استوحش"(٣).

وبهذا يتضح لنا من الأمثلة السابقة لتقارب الألفاظ إنما بسبب تقارب معانيها ، حيث رأينا فيها أن الألفاظ تتقارب بالأصوات فتتحد في بعضها، وما تختلف فيه نجده متقارباً في المخرج .

(١) الخصائص ٢/ ١٥٠.
(٢) المحتسب ١/ ٣٢١– ٣٢٢.
(٣) الخصائص ٢/ ١٥٢.

الفرع الرابع
تقارب اللفظين باتحادهما في حرفين، واختلافهما في حرف واحد

وهذا الحرف لا تربطه علاقة صوتية بما يقابله في اللفظ الآخر، وهو على حالات:

١- تقارب الأصالين الثلاثيين بتماثل حرفين فيهما، واختلافهما في حرف واحد(١):

ومن ذلك :(ضياط) من (ض ي ط): السمين المنتفخ و(ضيطار) من (ض ط ر): عظيم الجنبين)(٢) فليس بين الراء والياء علاقة صوتية، ونحو: (رخو) و (رخود)، فالأول من (ر خ و): الضعيف والآخر من (ر خ د): المنثني، ومعلوم أن التثني فيه ضعف(٣) فليس بين الواو والدال علاقة صوتية أيضاً. يقول ابن جني:" فهما – كما ترى – شديدا التداخل لفظاً ، وكذلك هما معنىً"(٤) أي: تقاربا من حيث المعنى فتقاربا من حيث اللفظ".

وأيضاً (ألوقة) من (أ ل ق): أي طعاماً طيباً أو زبداً برطب، و(لُوقة) من (ل و ق): أي الزبد بالرطب أو السمن بالرطب كالألوقة(٥).

ومنه (الطيس): العدد الكثير ، وكل ما في وجه الأرض من التراب والقمام. أو هو خلق كثير النسل؛ كالذباب والسمك ، والنمل؛ (كالطيسل) في

---

(١) الخصائص ٢/ ٤٤ وما بعدها (باب في تداخل الأصول الثلاثية والرباعية والخماسية).

(٢) القاموس المحيط (ض ي ط) باب الطاء فصل الضاد و (ض ط ر) باب الراء فصل الضاد، ولسان العرب حرف الضاد. (ض ي ط)، و(ض ط ر).

(٣) القاموس (ر خ و) باب الواو فصل الراء و (ر خ د) باب الدال فصل الراء.

(٤) الخصائص ٢/٤٤.

(٥) القاموس (أ ل ق) باب القاف فصل الهمزة ، و(ل و ق) باب القاف فصل اللام.

الكل أو كثرة كل شيء من الزمن والماء ونحوهما[١] ومنه (الصوص)[٢] وتعني: اللئيم ينزل وحده ، ويأكل وحده وفي ظل القمر لئلا يراه الضيف. و(أصوص) من (أ ص ص)، وتعني الناقة السمينة ، ومنه المثل: (أَصُوصٌ عليها صُوصُ)[٣] أي كريمة عليها بخيل ، فكأن اللئيم البخيل لإنانيته وحبه لذاته لم يشاركه أحدٌ في مأكله؛ فعاد ذلك عليه بالسمن والامتلاء بخلاف من اتَّصف بالكرم ، وآثر المحتاج على نفسه، فقدَّم إليه طعامه ؛ فعاد ذلك عليه بالهزال والنُّحول ، فهزالُ الكريم ينمُّ عن كرمه، وسمنُ البخيل يكشف عن بخله وقد تضمنت أمثلة ابن جني هذه المجموعة من الأمثلة يوقع التقارب في ألفاظها ومعانيها في الحكم بالتجنيس، والصحيح أنها ليست من بابه. يقول ابن جني: " نعم، وقد يعرض هذا التداخل في صنعة الشاعر، فيَرى أو يُرِى أنه قد جنَّس وليس في الحقيقة تجنيساً"[٤].

٢- تقارب الأصلين أحدهما ثلاثي والآخر رباعي، فاتفقا في ثلاثة أحرف واختلفا في الرابع من الرباعي نحو:

(د م ث ر) على وزن جعفر، والدِمَثْر: السهل من الأرض، و (د م ث) على وزن فرح، يقال : دَمِث المكانُ : سَهُلَ ولان. والدماثة: سهولة الخلق، والتدميث: التليين[٥] وأيضاً (الهَرْس): الأسد الشديد الكسر والأكل، و(الهِرْماس): الأسد الشديد العادي على الناس كالهرميس والهرامس، ونحو:

(١) القاموس (ط. ي. س) باب السين فصل الطاء، (ط. س. ن) باب النون فصل الطاء.
(٢) الخصائص ٢/ ٤٦.
(٣) لسان العرب حرف الصاد (ص و ص)، وحرف الألف (أ ص ص).
(٤) الخصائص ٢/ ٤٦.
(٥) القاموس (د م ث) باب الثاء فصل الدال.

(الصلد): الصلب الأملس كالصلدد: كسفرجل، و(الصلدم) كزبرج: الأسد. والصلب الشديد الحافر والأمثلة كثيرة[١]، وبعير

(أشدق) و(شَدْقَم) : واسع الفم ، والشدق : سعة الفم فالأشدق من أصل ثلاثي وهو الشين والدال والقاف ، بينما الشدق من أصل رباعي وهو الشين والدال والقاف والميم ؛ لذلك يؤكد ابن جني على اختلاف الأصلين فيقول " وينبغي أن يكون جميع هذا من أصلين ثلاثيّ ورباعيّ"[٢].

ويقول ابن جني: " ... فهذه طريق تداخل الثلاثي والرباعي؛ لتشابهما في أكثر الحروف فكثير ..." [٣] وأيضاً دِلاص ودُلامِص ودُمَالِص ، فالألفاظ الثلاثي في معنى البراق كما يقول الشيخ النجار– محقق الخصائص: "والدلاص من أصل ثلاثي، وهو الدال واللام والصاد، بينما الدلامص أو الدمالص على القلب من أصل رباعي، وهو الدال والميم واللام والصاد: "وهو قياس قولِ أبي عثمان؛ ألا تراه في دُلامِص : إنه رباعيّ، وافق أكثُره حروف الثلاثيّ ..." إلى أن قال: " ... وقياس مذهب الخليل بزيادة الميم في دُلا مص، أن تكون الميم في هذا كله زائدة"[٤] ولقد ذكر ابن جني في هذا الباب أن كثيراً من الناس يتوهم أن احدهما من أصل صاحبه، وهو في الحقيقة من أصل غيره[٥]، حيث لم ينجِ من هذا الوهم نفرٌ من مشاهير اللغة؛ كالخليل بن أحمد الذي حكم بزيادة الميم في" دلامص " وهي أصل عند ابن جني، والمازني، وأحمد بن يحيى بن ثعلب الذي ردَّ "الزغدب" –وهو هدير البعير– إلى أصل ثلاثي وهو الزاي والغين والدال، وحكم بزيادة الباء بينما هي أصل عند ابن جني، وحكم على كلامه بأنه كلام تمجّه الأذان وتضيق عن احتماله

(١) الخصائص ٢/ ٥٠ وما بعدها.
(٢) الخصائص ٢/ ٥١.
(٣) السابق ٢/ ٤٩.
(٤) السابق ٢/٥١.
(٥) الخصائص ٢/٥٣.

المعاذير، وأيضاً وقع في هذا الوهم أبو إسحاق الزجاج الذي ذهب إلى القول بأن "الزغدب والسبطر والدمثر" وغيرها تعود إلى أصول ثلاثية، وهي من أصول رباعية؛ حيث يقول ابن جني: " فارتكب أبو إسحاق مركباً وَعْرا، وسحب فيه عدداً جَمّا ، وفي هذا إقدام وتعجرف ..." (١).

ومما يجدر الإشارة إليه أنه قد يكون الإبدال سبباً في تردد اللفظين بين أصلين ثلاثيين وبين أصلين ثلاثي ورباعي؛ فيوقع الباحث في حيرة من أمره. فمن الأول "مرمريت" الذي يطلق الداهية. تكون التاء بدلاً من "مرمريس".

يقول ابن جني: "وليس بالبعيد أن تكون التاء بدلاً من السين كما أبدلت منها في سِتّ وفيما أنشده أبو زيد من قول الشاعر:

يا قاتلَ الله بني السِعْلاتِ ... عَمْرَو بن يَرْبوع شِرارَ النّاتِ
غير أعِفَّاءَ ولا أكياتِ(٢)

فأبدل السين تاءً. السعلات: هي الغول أو ساحرة الجن، حيث جعل الشاعر أمهم كالغول، أو كساحرة الجنيّة، ويريد بـ "النات" الناس، والأكيات: الأكياس ... فأبلت السين تاء، هذا الإبدال قد يوهم أن اللفظ أصله: الميم والراء والتاء، وهي في الحقيقة الميم والراء والسين.

يقول ابن جني: "فإن قلت فإنا نجد للمرمريت أصلاً يحتازه إليه وهو المَرْت، قيل: هذا هو الذي دعانا إلى أن قلنا :إنه قد يجوز أن تكون التاء في مرمريت بدلاً من سين مرمريس. ولولا أن معنا مَرْتا لقلنا فيه: إن التاء بدل من السين البتّة، كما قلنا ذلك في سِتّ، والنات، وأكيات"(٣).

ويؤكد ما ذهب إليه ابن جني ما نقل" ابن منظور" (أن المرمريس):الداهي من الرجال، قال: "وتحقيره مريريس إشعاراً بالثلاثية ، قال

(١) السابق نفسه.
(٢) السابق ٢/ ٥٣.
(٣) الخصاص ٢/ ٥٣.

سيبويه: كأنهم حقَّروا مراساً ، ثم نقل عن ابن سيدة قوله: وقال: مرمريت فلا أدري لغة أم لثغة ؟"[١]، ثم نقل قول ابن جني السالف الذكر، ومن الآخر يقول ابن جني: "وتابع أبو بكر البغداديين في أن الحاء الثانية في حثحثت بدل من ثاءٍ، وأن أصله حَثَّثْت..." [٢] فحثحث من أصل ثلاثي، وهو الحاء والتاء والثاء، وأبدلت، ولى التاءات حاءٌ فصارت "حثحثت " فإن تجهل الإبدال عاد اللفظ إلى أصل رباعي وهو الحاء والتاء، والحاء والثاء، وإن تنبه إلى الإبدال كان أصل" حثحث "حثث"أي ثلاثي وهو الحاء والثاء والتاء.

٣- تقارب الأصلين أحدهما رباعي والآخر خماسي.

وهو نوع قليل قلة الأصليين في اللغة العربية بالمقارنة مع تزاحم الرباعي مع الثلاثي، يقول ابن جني: "فهذا تزاحم الرباعي مع الثلاثي. وهو كثير جداً فاعرفه ، وتوقّ حمله عليه أو خَلْطه به ... "[٣] ويقول أيضاً في موضع آخر: "وأما تزاحم الرباعيّ مع الخماسيّ فقليل. وسبب ذلك قلَّة الأصلين جميعاً، فلما قلَّا- قلَ ما يعرِض من هذا الضرب فيهما؛ إلا أن منه قولهم: ضَبَغْطى، وضَبْغطرى ..." [٤].

فالضبغطى والضبغطرى كلمة يفزع بها الصبيان، و"ضَبَغْطى" من أصل رباعي، وهو الضاد والباء والغين والطاء، بينما "ضبغطرى "من أصل خماسي، وهو الضاد والباء والغين والطاء والراء ومن الأمثلة التي أوردها ابن جني لهذا النوع أيضاً: (الدردبة): الخضوع والذلل، و(الدردبيس): الفاني من الشيوخ [٥]، يقول الشاعر:

(١) لسان العرب حرف الميم (م ر س).
(٢) الخصائص ٢/ ٥٤.
(٣) الخصائص ٢/ ٥٥.
(٤) الخصائص ٢/ ٥٥.
(٥) لسان العرب الدال والراء والدال والباء والسين.

أُمُّ عِيالٍ فَخْمَةٌ تَعُوسُ قد ... دَرْدَبَتْ والشَّيْخُ دَرْدبيسُ[1]

أم عيال فخمة أي: متقدمة في السن، وتطلق الفخمة من النخل على الكبيرة الدقيقة الأسفل القليلة السعف. فدردبت من أصل رباعي، وهو الدال والراء ثم الدال والباء، بينما دردبيس خماسي من الدال والراء والدال والباء والسين[2].

(١) لسان العرب حرف الدال (د ر د س).
(٢) الخصائص ٢/ ٥٥.

المطلب الثالث
الاشتقاق الأكبر

وتتسع الرؤية عند ابن جني في القيمة التعبيرية للصوت، وعلاقة الاسم بالمسمّى، والصوت بالمدلول على مستوى (التركيب) اللفظي أيضاً، وذلك من خلال نظريته عن الاشتقاق (الأكبر) والتقليبات الستة للكلمة، الذي طالعنا به في الصفحات الأولى من سفره (الخصائص)، حين يتحدث عن معنى القول والكلام ، ودوران تقلبات الأول حول الخفوق والحركة[١]، والثاني حول القوة والشدة[٢]، ثم يعقد له باباً مطولاً، ويشير فيه من تقلبات[٣] بحيث يظهر لنا – من خلال نظريته – الدقة التي أولاها للتركيب اللفظي؛ إذ يحرص على المعنى بشدة ؛ فيعمد إلى أن يتقصّاه كاملاً بلطف الصنعة والتأويل في اللفظ الذي وضع له في اللغة ؛ لذا نراه يُجري فعلاً تأصيلياً يقوم على فرضية ضمنية مردُّها إلى العلاقات التبادلية بين عناصر بنية اللفظة الواحدة، والتي صنَّفها منقور عبد الجليل على النحو التالي: " ثلاث علائق متصلة هي: العلاقة بين اللفظ والمعنى ، والعلاقة بين اللفظ واللفظ ، ثم العلاقة بين الحروف ببعضها "[٤].

فالحروف أو الأصوات مهما كان ترتيبها وموقعها فإنها تجتمع على جذر واحد ؛ الأمر الذي سهّل له عليه معرفة الأصول التي جاءت منها الألفاظ ، وبالنتيجة إدراك العلاقة التي تربط الدال بالمدلول . يقول ابن جني: "فإن المعاني وإن اختلفت معنيّاتها ، آوية إلى مضجع غير مُقِضّ ، وآخذ بعضُها برقاب بعض"[٥] فهو يتعمد شرحها وتأويلها محاولاً أن يتصيد لهذه

(١) ينظر : الخصائص ١/ ٥-١١.
(٢) السابق ١/ ١٣-١٧.
(٣) السابق ٢/ ١٣٣-١٣٩.
(٤) ينظر : علم الدلالة منقور عبد الجليل ص ١٢٩.
(٥) ينظر : الخصائص ٢/ ١٣٩.

الألفاظ معنىً عاماً تدور حوله ؛ وذلك بالبحث عن وجود علاقة معنوية تجمع بين الألفاظ المشتركة في أصوات واحدة دون ترتيب إلى جانب العلاقة اللفظية المتمثلة في هذه الأصوات .

وبين لنا ابن جني كيف تتم هذه العملية فيقول:" أن تأخذ أضلاً من الأصول الثلاثية فتعقد عليه وعلى تقاليبه الستة معنىً واحداً ، تجتمع التراكيب الستة وما يتصرف من كل واحد منها عليه ، وإن تباعد شيء من ذلك رُدّ بلطف الصنعة والتأويل إليه"(١). فهو بهذا يكوّن من كل أصل عدداً من الصور، ست صور للحروف الثلاثة، وأربعاً وعشرين للأربعة، ومائةً وعشرين للخمسة. ويسوق لنا أمثلة لذلك، فيرى أن تراكيب مادة (ج ب ر)، وهي: (جبر، جرب، رجب، ربج ، برج) فهي –أين وقعت – للقوة والشدة، وتراكيب (س ل م) للإصحاب والملاينة، وتراكيب (ق س و) إلى القوة والاجتماع، وتركيب (ق و ل) للخفوق والحركة، وتراكيب (ك ل م) للقوة والشدة(٢).

وقد استلهم ابن جني هذه الفكرة من صنيع معجميينا الروّاد ، خاصة أصحاب منهج التقليبات الصوتية بنوعيها (الصوتي والألفبائي)، حيث جمعوا المواد المشتركة في حروف واحدة في مكان واحد دون ترتيب بعينه ... فعبقرية ابن جني إنما هي ملاحظة العلاقة أو الرباط المعنوي بين المواد الستة وما يندرج تحتها من ألفاظ .. فمعاني الألفاظ عندهم كانت نهاية البحث وغايته، بينما كانت عنده نقطة البدء التي انتهت به إلى المعنى المشترك بين تقلبات المادة .

يقول عبده الراجحي: "ومما هو متصل بالدراسة المعجمية ما عرض له ابن جني تحت ما أسماه "الاشتقاق الأكبر" فقد كان أبو الفتح يعتقد أن اللغة بأصواتها التي تمثلها الأبجدية إنما تقدم احتمالات لا نهاية لها من الألفاظ

(١) السابق ٢/ ١٣٤.

(٢) للمزيد ينظر: الخصائص ١/ ٥– ١٧، و ٢/ ١٣٣– والمنصف في شرح كتاب التصريف للمازني ١/ ٣٩.

التي ترمز إلى معان، ومن ثمَّ أكد أن تقلبات اللفظ الواحد تؤدي إلى معان متقاربة ، اعتماداً على ما قرره من وجود علاقة بين اللفظ ومدلوله"(١).

فلقد أجهد ابن جني نفسه في البحث عن المعنى المشترك ، ولو أدّى به ذلك إلى التمحّل والتكلّف وركوب المعسف، والجنوح إلى الغموض والإبهام ... ويعترف ابن جني أن هذا النوع ليس من ابتداعه أو اكتشافه؛ بل لأستاذه أبي علي الفارسي ، الذي أخذ طريقته ، وليس له الفضل سوى التسمية يقول ابن جني: "هذا موضع لم يسمّه أحدٌ من أصحابنا ' غير أن أبا علي – رحمه الله – كان يستعين به ويخلد إليه، مع أعواز الاشتقاق الأصغر. لكنه مع هذا لم يسمِّه"(٢)، ويعتبر ابن جني مؤسس المدرسة الاشتقاقية بمفهومها الواسع؛ حيث استطاع أن يضبط العملية ويولي لها اهتماماً على عكس أبي علي الفارسي الذي كان يلجأ إليها عند الضرورة، ويستريح إليها يقول ابن جني: "... وإنما كان يعتاده عند الضرورة، ويَسْترِوح إليه، ويتعلل به . وإنما هذا التقليب لنا نحن "(٣).

ومع هذا فلقد أغرم به إلى الحد الذي أصبح يقرن باسمه، حتى عدَّه بعض الباحثين– كأبي حيان، وآدم متز – من ابتداعه، يقول أبو حيان: "وأما الأكبر(الاشتقاق الأكبر) فيحفظ فيها المادة دون الهيئة ... وهذا مما ابتدعه الإمام أبو الفتح ابن جني ..." (٤)

ويقول آدم بتز أيضاً: " ... وكذلك ظهرت في القرن الرابع دراسة جديدة للاشتقاق اللغوي وبقيت عصراً طويلاً ، وكان أستاذ هذه المدرسة ابن جني الموصلي، وهو الذي ينسب إليه ابتداع مبحث جديد في علم اللغة ، وهو

(١) ينظر: فقه اللغة في الكتب العربية عبده الراجحي ص ٦٤.
(٢) ينظر: الخصائص ٢/ ١٣٣.
(٣) السابق نفسه.
(٤) ينظر: المزهر للسيوطي ١/ ٣٤٧.

المسمّى الاشتقاق الأكبر، وهو البحث الذي لا يزال يؤتى ثمره إلى اليوم ... ولم يكن لعلماء اللغة من العرب انتاج أعظم من هذا"[١].

ومن الغريب أن نجد من الباحثين المحدثين من أدخل الاشتقاق الأكبر في موضوع الإبدال اللغوي ، وعرُّف بالإبدال بمفهوم الاشتقاق الأكبر ، وعدّه نوعاً من أنواع الاشتقاق[٢]، وقد ردَّ أحدُ الباحثين عليه بأن الاشتقاق في أساسه لا يهدف إلى الترادف ، ولا يؤول إليه كما يحدث في عملية الإبدال[٣]، كما أن ابن جني – نفسه – لم يعدّ الإبدال ضرباً من الاشتقاق[٤] ولقد وافقه السيوطي في ذلك[٥] ويبدو أن الذي دعا هؤلاء إلى القول بتوافق الإبدال مع الاشتقاق الأكبر، هو ذكر ابن جني لأمثلة الاشتقاق الأكبر ضمن باب (تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني)، والذي ذكر فيه أمثلة عن الإبدال اللغوي أيضاً .كـ خضم وقضم ، وجلف وجرف، وسدل و سدر، ورَكَزَ الرمح وارتَكَزَ. والواقع أن المتمعن في هذه الأمثلة يرى أن هناك فرقاً بين الإبدال والتصاقب ، فالإبدال تكون فيه الكلمتان (المبدل والمبدل منه) متحدتي المعنى والصيغة وأيضا في كلمة واحدة ، بينما في التصاقب تكون من كلمتين مختلفتين و من تركيبين مختلفين – كما في الأمثلة السابقة – ولا يشترط اتحاد الصيغة من حيث نوع الكلمة ، والتجرد والزيادة ، والحركات ونوعها والسكنات ، كما أن لكل منهما معنى خاص بها متميز عن معنى مصاقبتها ، فالقضم والخضم– مثلاً– كل منهما تعبير عن عملية الأكل مع فرق بين العملتين – كما سبق أن

(١) ينظر: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع آدم متز ١٠/ ٤٣٧.
(٢) ينظر: دراسات في فقه اللغة لصبحي الصالح ص ٢١٠.
(٣) ينظر: الاشتقاق فؤاد التريزي ص٣٤٤.
(٤) ينظر: الخصائص ٢/ ١٣٤.
(٥) ينظر: المزهر ١/ ٣٤٧، وفي فقه اللغة وخصائصها أميل بديع يعقوب ص ٧٠٢.

ذكرنا–، كما أن حروف كل منهما الأصلية تقارب حروف الآخر إما بتماثل بعضها وتجانس الباقي أو تقاربه ، وإما بتجانس جميعها أو تقاربها كلها(١).

خلاصة القول أن الإبدال ليس سوى ظاهرة صوتية تقوم على استبدال بعض الحروف ببعضها الآخر، وهي موجودة في اللغات السامية أيضاً، لكنها أكثر وضوحاً في اللغة العربية؛ بسبب امتداد الرقعة التي قطنها أو عرَّبها العرب، وبسبب تعدّد الأقوام الذين خضعوا للحكم العربي ويرجع سبب الإبدال لعدّة أمور منها: التصحيف، والتوهم السمعي والتطور الصوتي في الحرف المبدل منه(٢).

بل إن هناك من الباحثين من جعله – أيضاً – من القلب اللغوي(٣) إلا أن القلب المكاني لابدَّ فيه من ثبات أصل للفظ ثم يُقلّب عنه مثل (أيس مقلوب يأس) (٤)، (مرسح مقلوب مسرح) التي هي الأصل كذلك، على حين أن ما يجري في الاشتقاق الأكبر أن جميع التقليبات الستة هي أصول غير مقلوبة، بدلالة إمكان حدوث الاشتقاق منها ، فلا يوجد من بينها لفظ أصل قلبت عنه الألفاظ الأخرى ، وإنما توجد حروف أصل لألفاظ ، يقول ابن جني: "جَذَب وجَبَذ؛ ليس أحدهما مقلوباً عن صاحبه، وذلك أن جميعاً يتصرّفان تصرّفاً واحداً ..."(٥) فمناط الأصل عنده التصريف وعدمه. كما أن الكلمة وقلبها في القلب المكاني كلمة واحدة في الحقيقة ، بينما في الاشتقاق فـ

(١) ينظر: الاشتقاق (دراسة نظرية وتطبيقية) د. محمد حسن حسن جبل ص ٦٦٤–٦٦٧.

(٢) ينظر: فقه اللغة العربية وخصائصها د. إميل بديع يعقوب ص ٢٠٧وما بعدها.

(٣) ينظر: الاشتقاق للتريزي ص ٣٢٣، والاشتقاق والتعريب عبد القادر المغربي ص ١٥.

(٤) ينظر: القلب المكاني صوره وتعريفه دراسة صوتية د. محمود عبد الزهرة الشريفي (بحث منشور في ملحق مجلة آداب المستنصرية) العدد ٣٣ سنة ١٩٩٩م.

(٥) ينظر: الخصائص ٢/ ٧١– ٧٢ (باب في الأصلين يتقاربان في التركيب بالتقديم والتأخير).

(المشتق والمشتق منه) من كلمتين، كما أنه لتخفيف النطق فحسب؛ فلا يضيف معنىً جديداً، والعرب هم الذين نطقوها بالأصل تارة، ومقلوبة تارة أخرى، بينما الاشتقاق جهد مقصود يولِّد كلمةً جديدة مستقلة ذات صبغة ومعنى خاصين بها[١]. فالاختلاف بيّن ، ولا وجه للشَّبه فيما ظنَّه الخالطون.

ومما يجدر الإشارة إليه أن هناك من القدماء والمحدثين – العرب والغرب – من نقد الاشتقاق الأكبر، فهذا أبو حيان صاحب "شرح التسهيل" يقول: "... وهذا مما ابتدعه الإمام أبو الفتح ابن جني ... وليس معتمداً في اللغة، ولا يصح أن يستنبط به اشتقاق في لغة العرب؛ وإنما جعله أبو الفتح بياناً لقوة ساعده ورده المختلفات إلى قدر مشترك ..." [٢].

أما الإمام ابن عقيل (ت ٧٦٩هـ) فيقول: "وأما الاشتقاق الأكبر فأثبته أبو الفتح وكان الفارسي يأنس به في بعض المواضع، وهو عقد تراكيب الكلمة كيفما ركبتها على معنى واحد نحو دوران الكلم والكمل، واللكم، وبقية تقاليبها على معنى الشدة والقوة. والصحيح عدم اعتباره لعدم اطراده"[٣].

أما المحدثون فقد ذهب بعضُهُم إلى ما ذهب إليه القدماء، يقول د.صبحي الصالح في آخر الفصل الذي عقده عن الاشتقاق الأكبر: "فمع هذا التحفظ، ومع هذا الحذر من الوقوع في التكلف..." [٤].

ويرى د. محمد حسن جبل – رحمه الله – أهمية ارتباط المعنى بالترتيب، كما أن ارتباط المعنى بالكلمة – حسب ترتيب حروفها–هو الأصل في لغتنا وفي كل لغة، ويرى أن "إغفال قيم الترتيب – كما هو مقتضى الاشتقاق الأكبر – يقوِّض بنيان اللغة من أساسه، ويفسدها؛ مما يترتب عليه

(١) ينظر: الاشتقاق (دراسة نظرية وتطبيقية) د. محمد حسن حسن جبل ص ٦٣.
(٢) ينظر: المزهر للسيوطي ١/ ٣٤٧– ٣٤٨.
(٣) ينظر: المساعد شرح ابن عقيل لتسهيل الفوائد تح د. محمد كامل بركات ٤/ ٨٣.
(٤) ينظر: دراسات في فقه اللغة لصبحي الصالح ص ١٨٦.

من نزع سر تعبيرية العربية، وقطع العلاقة بين ألفاظها ومعانيها، ونسخ كل كلام عن الإعجاز حينئذ"[١].

كما اتّهم د. إبراهيم أنيس ابن جني بالتكلُّف والتعسُّف ؛ لأنه " إن استطاع في مشقة وعَنَت أن يسوق لنا للبرهنة على ما يزعم بضع مواد من كل مواد اللغة التي يقال إنها في معجم صحاح اللغة تصل إلى أربعين ألفاً ، وفي معجم لسان العرب تكاد تصل إلى ثمانين ألفاً ، فليس يكفي مثل هذا القدر الضئيل المتكلّف لإثبات ما يسمى بالاشتقاق الكبير"[٢].

كما يرى المستشرق فردناند وستنفلد Ferdinand Wustenfeld ناشر كتاب (الاشتقاق) لابن دريد سنة ١٨٥٤م أنه "... من نقط الضعف في تاريخ الثقافة العربية؛ لأن الاشتقاق يتطلب الاطلاع على مختلف اللغات المتقاربة؛ حتى تفهم مكانة الكلمة لغوياً وعلاقتها بغيرها"[٣].

والواقع أن مهما كانت الآراء حول الاشتقاق بين رفض وقبول، فلا نستطيع أن ننكر أن اللغة عندما تصل إلى مرحلة الاشتقاق تكون قد بلغت وأصحابها درجة من النضج والاكتمال؛ لإدراكهم وملاحظة العلاقات اللفظية والمعنوية التي تربط بين تراكيب المادة الواحدة ، وأنه كلما كانت الروابط بين ألفاظ اللغة قوية وواضحة، دلَّ على مدى ارتقائها ونضج أصحابها من الناحية الذهنية[٤]. كما ينبغي أن يدرك المستشرق " فردناند وستنفلد" أن هناك فرقاً بين علم أصول الألفاظ Etymology – الذي يعنى ببيان الأصيل من الدخيل في الألفاظ المستعملة في اللغة العربية – وبين الاشتقاق[٥]

(١) الاشتقاق ص ٩٥.
(٢) ينظر: من أسرار اللغة د. إبراهيم أنيس ص ٦٨.
(٣) عن كتاب الاشتقاق لابن دريد ص ٣٣- ٣٤.
(٤) ينظر : فقه اللغة العربية دراسة تحليلية للكلمة العربية محمد المبارك ص ٥٣-٥٤.
(٥) The New Encyclopedia Britannica, Helen Hemingway publisher 15th edition,1973- 1974, volume

بل ابن جني – نفسه – يقرِّر عدم اطِّراد الاشتقاق الأكبر في مواد اللغة كلها ..يقول:" واعلم أنّا لا ندّعي أن هذا مستمر في جميع اللغة، كما لا ندّعي للاشتقاق الأصغر أنه في جميع اللغة ...." [١]، كما أنه أدرك صعوبة تلقي الناس لفكرة الاشتقاق الأكبر بالقبول " فهذه الطرائق التي نحن فيها حزنة المذاهب والتورّد لها وعر المسلك، ولا يجب مع هذا أن تستنكر ولا تستبعد"[٢].

ومع هذا فلم يستسلم، بل راح يطبقها على ما أمكنه من المواد، بل وراح يناشد الباحثين بالتحلي بالصبر والمثابرة ، وروح البحث العلمي: "وإن تباعد شيء من ذلك ردّ بلطف الصنعة والتأويل إليه"[٣] " فإن شَذَّ شيءٌ شُعَب هذه الأصول عن عَقْده ظاهرا رُدَّ بالتأويل إليه وعُطِف بالملاطفة عليه"[٤].

وعلى الصعيد الآخر فقد أدرك نفرٌ كبيرٌ من علماء العربية أهمية الاشتقاق، والحاجة الملّحة إليه ؛ فألفوا فيه وإن لم يبتكروا جديداً، أو يضيفوا إلى ما سبقهم به شيئاً.

يقول السيوطي: "أفرد الاشتقاق بالتأليف جماعة من المتقدمين منهم الأصمعي وقطرب وأبو الحسن الأخفش، وأبو نصر الباهلي والزجاج وابن السراج، والرماني والنحاس وابن خالويه"[٥] كما أن السكاكي[٦]، وابن الأثير كانا يرددان مقالته دون زيادة .

يقول ابن الأثير:" واعلم أنا لا ندّعي أن هذا يطرد في جميع اللغة ، بل جاء شيء منها كذلك، وهذا مما يدل على شرفها وحكمتها ..." [٧].

---

(١) ينظر: الخصائص ٢/ ١٣٨.
(٢) ينظر: السابق ١١/١.
(٣) السابق ٢/ ١٣٤.
(٤) السابق ١٣٧/٢.
(٥) ينظر: المزهر ١/ ٣٥١.
(٦) ينظر: مفتاح العلوم للسكاكي ص٧ أطلق عليه (الاشتقاق الكبير).
(٧) ينظر: المثل السائر لابن الأثير ١٩٩/٣.

كما شجع صنيع ابن جني كثيرٌ من المحدثين على البحث عن فكرة المعنى الجامع في الكلمات المتفقة في الحرفين الأولين، يقول الأستاذ سعيد الأفغاني: "ومن المحدثين من حذا حذو ابن جني، فاستقرى بعض الكلم التي تشترك في الحرفين الأوليين فوجد فيها معنىً مشتركاً"(١).

والواقع أن ابن جني قد بالغ في هذا المسلك إلى الحد إلى أن رأى أن هذا المعنى الجامع يمكن أن يتوافر لأي كلمتين تشتركان في حرفين مهما كان الحرف الثالث مختلفاً

فنجده يقول: "تجد الثلاثي على أصلين متقاربين والمعنى واحد فههنا يتداخلان، ويوهم كلّ واحد منهما كثيراً من الناس أنه من أصل صاحبه، وهو في الحقيقة من أصل غيره؛ كقولهم: شيء رِخْو ورِخْوَدّ فهما – كما ترى – شديدا التداخل لفظاً وكذلك هما معنىً". وإنما تركيب رِخْو من (ر خ و) وتركيب رخود من (ر خ د) ... متفقتان لكن لاماهما مختلفتان .... أفلا ترى إلى ازدحام اللفظين مع تماسّ المعنيين؛ وذلك أن الرخو الضعيف، والرخود المتثنى، والتثنيّ عائد إلى معنى الضعف"(٢) فنجد أن الكلمة تتفق مع أخرى في حرفين وتختلف معها في الحرف الثالث. ومع ذلك يلتقيان على معنى جامع ولا تأثير لاختلافهما في الحرف الثالث إلا في تنويع المعنى.

ومن الجدير بالذكر أننا وجدنا له باباً عقده له صلة بفكرة المعنى العام وهو: (تلاقي المعاني على اختلاف الأصول والمباني) (٣) إلا أن الفرق بينهما، أنه في الاشتقاق يبدأ من الألفاظ ليصل إلى المعنى العام ، بينما في هذا الباب يبدأ من المعنى ؛ليصل إلى اللفظ المؤدي إليه يقول ابن جني: "... وهذا باب إنما يجمع بين بعضه وبعض من طريق المعاني مجردة من الألفاظ ، وليس كالاشتقاق الذي هو من لفظ واحد، فكأن بعضه منبهة على

(١) ينظر: في أصول النحو سعيد الأفغاني ص ١٠٦.
(٢) ينظر: الخصائص ٢/ ٤٤-٤٥ ، ٤٨.
(٣) السابق: ٢/ ١١٣١.

بعض، وهذا إنما يعتنق فيه الفكر المعاني غير منبهته عليها الألفاظ ، فهو أشرف الصنعتين وأعلى المأخذين"[١] ومن ذلك "التوراة من لفظ ورى (وَرْرَية، تورية، توراة)، والإنجيل من لفظ (ن ج ل)، والفرقان من (ف ر ق). والتوراة فَوْعلة، والإنجيل افعيل، والفرقان فُعْلان فالاظصول مختلفة والمباني كذلك، والمعاني واحدة ومقتنعة ، وكلها للإظهار والإبراز والفرق بين الأشياء"[٢] إلا أنه في الواقع يعد صنيع ابن جني – هنا – من قبيل المترادفات ، وإن لم يكن ابن جني يقصد ذلك.

وخلاصة القول أن ولع ابن جني بالاشتقاق الأكبر إنما جاء؛ ليثبت من خلاله نظريته في الصلة الطبيعية بين الصوت والمدلول[٣] "ومن طريف ما مرَّ بي – أيضاَ – في هذه اللغة التي لا يكاد يعلم بُعْدُها ، ولا يحاط بقاصيّها. ازدحام الدّال، والتّاء، والطّاء، والرّاء، واللام، والنون، إذا ما زجتهن الفاء على التّقديم والتأخير . فأكثر أحوالها ومجموع معانيها أنها للوهن والضعف ونحوها. ومن: ذلك (الدُّالف– للشيخ الضعيف)، والشيء التالف، والطليف (والظّليف) المجّان وليست له عصمة الثمين، و(الطَنَف) لما أشرف خارجاً عن البناء. وهو إلى الضعف ... "الدّنِف": المريض، ومنه "التنوفة"؛ وذلك لأن الفلاة إلى الهلاك: ألا تراهم يقولون لها: مهلكة، وكذلك قالوا لها: بيداء: فهي فعلاء من باد يبيدُ، ومنه التُرْفة؛ لأنها إلى اللّين والضَّعف، وعليه قالوا: الطرف ؛ لأن طرف الشيء أضعف من قلبه وأوسطه ، قال سبحانه تعالى: ﴿**أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا**﴾ الرعد /٤١ وقال الطائي الكبير:

كانت هي الوسطَ المنوعَ فاستلبت ... ما حولها الخيلُ حتى أصبحت طَرَفا[٤]

(١) السابق: ٢/ ١١٣-١١٧.
(٢) ينظر : المحتسب ١/ ١٥٣.
(٣) ينظر: الخصائص ٢/ ١٦٦ وما بعدها.
(٤) ينظر: الخصائص ٢/ ١٦٦ وما بعدها.

ومنه الفرد ؛ لأن المنفرد إلى الضعف والهلاك قال ﷺ (المرء كثير بأخيه). والفارط المتقدم وإذا تقدم انفرد ، وإذا انفرد أعرض للهلاك ؛ ولذلك ما يوصف بالتقدم ويمدح به لهول مقامه وتعرّض راكبه . قال محمد بن حبيبب في الفَرْتَنَي الفاجرة : إنها من الفُرَات وحَكَم بزيادة النون والألف ، فهي على هذا كقولهم لها (هَلُوك) .

قال الهذلي:

السالك الثُغْرةِ اليقظانِ كالئُها ... مَشَى الهَلُوك عليها الخَيْعَلُ الفُضُلُ[١]

ومنه الفرات؛ لأنه الماء العذب، وإذا عذب الشيء ميل عليه ونيل منه، ألا ترى إلى قول القطامي:

تراهم يغمزون من استركوا ... ويجتنبون من صدق المصاعا[٢]

ومنه الفُتُور للضعف والرَفْت للكسر، والرديف؛ لأنه ليس له تمكّن الأول. ومنه الطِّفل للصبي؛ لضعفه والطَّفْل للرّخْص، وهو ضد الشَتن والتَفَل للريح الكريهة، فهي منبوذة مطروحة"[٣].

(١) ينظر: شرح أشعار الهذليين لأبي سعيد الحسن بن الحسين السكري ٢/ ١٨١، ولسان العرب (ح ق ل).

(٢) ينظر: العقد الفريد أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي ١/ ٦١.

(٣) الخصائص ٢/ ١٦٩.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصَّالحاتُ، والصّلاة والسلام على سيّد البريّات وعلى آله وصحبه البررة الثُّقات وبعد ...

قد اتضح لنا – مما لا يدع مجالاً للشك – أن ابن جني يعدُّ من أبرز الباحثين في موضوع علم الدلالة عامة، وفي الدلالة المحاكاتية أو الذاتية خاصة ... وإن كان للخليل وسيبويه فضل السبق في وضع أسس هذه النظرية، إلا أن ابن جني تسلَّم المشعل منهما وأكمل البناء بإحكام معتمداً على حسّه اللغويّ، وخبرته الصوتيّة، كما استطاع بلباقته، وعبقريته وقوته على الحجاج والجدل والإقناع إلى الحدّ أن يجعلك تقتنع بما ساقه إلى حدّ الانبهار؛ إذ نراه يكتشف ألفاظاً وصيغاً كثيرة تتقابل معنوياً ومجريات أحداثها . ومما سبق يتضح لنا أن ابن جني عوَّل في الكشفِ عن أوجه التشابه الصوتي بين هذه الألفاظ على أمرين:

أولهما: إمّا اتفاق الحروف اتفاقاً كلياً كما في الاشتقاق الأكبر ، وهو أكثر ضروب التصاقب اتساعاً، وإما اتفاقاً جزئياً، كما في تداخل الأصول الثلاثية فيما بينها ، والثلاثية والرباعية، والرباعية والخماسية . أما الآخر فهو تضارع حروف اللفظين المتصاقبين، ومهما تباينت أشكال هذا التقارب، وتعددت وجوهه، فهو لا يخرج عن كونه اتفاقاً في حروف اللفظين أو تضارعا، واتفاقاً في بعضها وتضارعاً في بعضها الآخر.

والواقع إن كان بعضُ الباحثين – من العرب والغرب – لا يسلِّم بهذه النظرية – بل وعدوها ضرباً من اللهو والخيال يتنافى و المنهج العلمي، ومضيعة للوقت – ينبغي أن ينفقه فيما يفيد[1]، معللين ذلك بأن هذه النظرية تجعل المدلولات منحصرة في المحسّات دون المعقولات؛ بل تجعلها منحصرة في لون واحد من المحسّات (حاسة السمع)، وكأن بقية حواسه ظلّت معطّلة

(١) ينظر: مناهج البحث د. تمام حسان ص ١٥– ١٧، وينظر أيضاً : من أسرار اللغة د. إبراهيم أنيس ص ١٤٠ وما بعدها.

طيلة مرحلة المحاكاة – إلا أننا لا نستطيع أن ننكر مرحلة الدلالة الصوتية المحاكاتية إنكاراً قطعياً؛ إذ إن الشواهد على هذا الطّور كافية للإقناع والاقتناع. وابن جني إذ يقرِّر صلاح هذه الفكرة وتقبله لها يدرك صعوبة إدراك النّاس لها، ووعورة البحث عنها على كثير من اللغويين الذين يحرمون أنفسهم من لذّة البحث؛ فيفوتهم الكثير، يقول ابن جني: "فهذا ونحوه أمر إذا أنت أتيته من بابه، وأصلحك فكرك لتناوله وتأمله، أعطاك مفادته ، وأركبك ذِروته، وجلا عليك بَهَجاته ومحاسنه. وإن أنت تناكرته، وقلت: هذا أمر منتشِر ، ومذهب صعب موعِر؛ حرّمت نفسك لذّته، وسددت عليها باب الحُظْوة به"[1] كما أن حاسّة السمع من أقوى حواس الإنسان؛ "والأذن هي الأداة الطبيعية التي نشأ الكلام معها[2]، كما أن التعبير عن المحسّات المسموعة أسبق من التعبير عن غيرها.

يقول ابن جني: "وذهب بعضهم إلى أن أصل اللغات كلها إنما هو من الأصوات المسموعة ..." فضلاً عن أن هذا اللون من الألفاظ التي تحاكي معانيها توجد في جميع اللغات، ويطلق عليها الألفاظ ذات الجرس المعبر enomotolya كما أن لها ما يؤيدها من واقع الحياة اللغوية؛ فالأطفال – وهم يمثلون الإنسانية في بدء أمرها – كانوا يحاكون ما يسمعون من أصوات معبرين بها عن الصوت ومصدره، كما أن اللغة في مرحلة المحاكاة كانت عبارة عن أصوات مركبة ذات مقاطع، محدودة الألفاظ قليلة التنوع قريبة الشبه بالأصوات التي حاكتها قاصرة الدلالة بعض الشيء[3]. إلا أنه يجب أن ننظر – بعين الإنصاف – بأنه إذا كان ثمَّة ألفاظ اللغة ما يدل على معناه بأصواته ، إلا أن تلك الألفاظ لا تعني أن اللغة جميعها من هذا القبيل، ولا

(١) ينظر: الخصائص ٢/ ١٦٢.

(٢) ينظر: تصدير د. إبراهيم أنيس لكتاب اللغة في المجتمع ص ٤ تأليف م . م لويس ترجمة د. تمام حسان ط عيسى الحلبي ١٩٥٩م.

(٣) ينظر : نشأة اللغة عند الإنسان والطفل د. علي عبد الواحد وافي ص ١٤٣– ١٥٢.

تحملنا تلك الشواهد على التسليم بتلك الدلالة المحاكاتية تسليماً كلياً، كما على الباحث أن يدرك أن العلاقة بين الأصوات ومدلولاتها – في الغالبية العظمى من الألفاظ – علاقة اجتماعية، مرجعها تعارف أبناء المجتمع وتواضعهم على وضع اللفظ المعين بإزاء اللفظ المعين ، دون أن يلاحظوا وجود علاقة صوتية بين اللفظ ومعناه.

ومن أهم نتائج البحث :

- أن الإبدال قد يكون سبباً في تردد اللفظ بين أصلين ثلاثيين وبين أصلين أحدهما ثلاثي والآخر رباعي.
- أن التقارب بين الأصول في الألفاظ والمعاني قد يوهم أن أحدهما من أصل صاحبه، والصحيح أنه من أصل غيره.
- أن تزاحم الرباعي مع الخماسي قليلٌ جداً مقارنة بالأصول الثلاثية والرباعية.
- قد يوقع التقارب في الألفاظ ومعانيها في الحكم بالتجنيس ، وهي ليست من بابه .
- أنه إذا كانت الوظيفة الصوتية الأساسية للصوامت في اللغة العربية تحمل جرثومة المعنى الوضعي أو المعجمي، وأن كلاً منها يصلح مقابلاً استبدالياً لغيره من الحروف ؛ فيؤدي إلى تغيّر المعنى، فإن هناك – أيضاً – ما يسمّى بالوظيفة التأثيرية أو دلالة الجرس للوحدة الصوتية؛ ذلك أن بعض الأصوات بما له من جرس خاص يتميز بالقوة والضعف قد ينبئ عن درجة معينة من درجات المعنى ولقد كان ابن جني فارس الحلبة في هذا الباب(١).
- قد تختلف وظائف الوحدات الصوتية في اللغة العربية باختلاف السياق الذي ترد فيه، وخاصة في الدلالة التأثيرية كما سبق أن ذكرنا في خضم وقضم.

(١) ينظر : دلالة السياق ص ١١٣.

- قد تستعمل الوحدات الصوتية المصوتة (الحركات) مقابلاً استبدالياً يترتب علي تغيره تغير في المعنى الوضعي، مع وظيفتها الأساسية ، وهي تشكيل صيغ المشتقات في إطار المادة الواحدة، بالإضافة إلى تحقيق الانسجام الصوتي في إطار الكلمات الصوتية التي ترد بها، وهو ما يعرف لدى النحاة بـ "الإتباع".
- سجل ابن جني بعض السقطات من الأحكام الخاطئة لبعض العلماء – كثعلب، والزجاج والأصمعي– ؛ حيث أوقعهم التداخل بين الأصول في الحكم– خطأً – بإرجاع بعض الألفاظ إلى أصول غير أصولها. مع كونه وقع في الخطأ نفسه عندما ذكر "السحيل" و"الصهيل" من أصل واحد، وهما من أصلين ... وفي ظني أنه قد غفل – فقط –؛ حيث إنه تناول في موضع آخر مادتي (ج ع د) و (ش ح ط) عند الربط بينهما قائلاً :" وذاك من تركيب (ج ع د) وهذا من تركيب (ش ح ط) ..." [(١)].
- أن ما أورده ابن جني تحت عنواني "تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني" و"إمساس الألفاظ أشباه المعاني" قد وردا عند بعض البلاغيين؛ كابن الأثير، وابن سنان الخفاجي تحت معنى التناسب، أو التآلف أو التوفيق أو المراعاة وعند علماء اللغة؛ كابن فارس تحت عنوان: "أجناس الكلام في الاتفاق والافتراق"[(٢)]. يقول ابن سنان: "أما تناسب الألفاظ من طريق المعنى فإنها تتناسب على وجهين : أحدهما : أن يكون معنى اللفظين متقارباً ، والثاني : أن يكون أحد المعنيين مضاداً للآخر أو قريباً من المضادّ ، فأما إذا خرجت الألفاظ عن هذين القسمين فليست بمتناسبة ..." [(٣)].
- أن أطّراد دوران استعمالات التركيب على معنى بعينه في كل تراكيب اللغة يثبت أن هناك علاقة بين الألفاظ والمعاني في اللغة العربية.

---

(١) ينظر: الخصائص ٢/ ١٥١.

(٢) ينظر: الصاحبي في فقه اللغة لابن فارس ص ٢٠٦.

(٣) ينظر: سر الفصاحة ص ١٩٩.

- أن لكل حرف قيمته التعبيرية، وأن تلك القيمة التعبيرية للحرف الأبجدي البنائي تتأثر بموقعه، من حيث إن قيم الحروف المجتمعة في تركيب أو كلمة تتفاعل بعضها مع بعض، بحيث تكون القيمة التعبيرية للكلمة هي حصيلة هذا التفاعل.
- لم يكن ابن جني ناقلاً لآراء سابقيه فحسب؛ بل كان ناقداً يستعرض، ويختار، ويختصر، ويوجز، ويعلّق على ما يرويه عن السابقين، مؤيداً مستحسناً لها أو رافضاً منكراً إياها مبيناً الأسباب في الحالتين.
- دلالة الاشتقاق الأكبر تمثل نظرية في الحقول الدلالية؛ لاعتماده على تقليبات أصول المادة، والعلاقة القائمة بين هذه الكلمات.

توصيات البحث :

يوصي البحث بتأليف معجم على غرار حقول الاشتقاق الأكبر عند ابن جني.

فالمعجمُ نظامٌ من أنظمة اللّغة، وعمل المعجميّ إنَّما هو قائم على كشف العلاقات بين الكلمات، والوقوفِ على جذور الكلمات ومنشئِها للتعرف على العلاقة بين كل لفظ ومعناه؛ إذ إنَّ الطبيعةَ المحاكاتيّة للّفظة العربيّة لها حضورٌ أسّي في صناعة البنية التركيبيّة للمعجم العربيّ، وأنَّ الاختلافَ بين المدارس المعجميّة كان في طريقةِ الجمعِ والترتيبِ، والتقصيّ للجذور اللّفظية، بخاصّة وأنَّ اللّفظة هي بنت الحياة المعاشة ؛ فهي محصَّلة تجربة الإنسان في مجتمعه وبيئتِه، فلا بد أن يكون للمحاكاة دوراً في توليدِها التي تحقّق زيادةً في الثروة المعجميّة في اللّغة العربيّة، وهذا ما ينعكس في المادة المجموعة في المعجم؛ إذ إنَّ الظاهرةَ الصرفيّة وما تتضمنه من إمكانات الاشتقاق، والقلب والإبدال ونحوه هي المظهر الفعليّ للأثر المحاكاتيّ الذي يحكم علاقةَ الألفاظ بمعانيها، وقوةُ الدّلالة إنما هي نتيجة قوة في الأصل الطبيعيّ للحرف. وبهذا يتضح لنا أنَّ تطور المعجم العربيّ إنما يرجع إلى فهم هذا المنشأ الطبيعيّ للحروف والألفاظ.

وبعد ... فهذا جهد المقل، ولا أدعَّي في دراستي هذه إحاطةً ولا كمالاً؛ فالكمالُ لله وحده، وحسبي في ذلك أنني بذلتُ قصارى جهدي، وغاية وسعي، فإن أصبت فيما عرضت فمن الله منّة وتفضلاً أن هداني وسدَّدَ قولي، وأوضحَ بياني، وإن أخطأت أو قصّرت فمن نفسي والشّيطان ... وأسأل المغفرةَ من الرحمن والعذرَ والنصيحةَ من الإخوان.

د. نجلاء محفوظ محمد العبسي
المدرس بكلية الدراسات الإسلامية والعربية جامعة الأزهر
Naglaa- alabsi @ yahoo.com

ثبت بأهم المصادر والمراجع

أولا: المصادر العربية :

- الإبدال لأبي الطيب اللغوي (أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي ت ٣٢١هـ) تحقيق/ عز الدين التنوخي، دمشق، ١٩٦٠م.
- إحياء النحو: إبراهيم مصطفى مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ط٢ ١٩٩٢م.
- أسرار البلاغة (أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الجرجان (ت ٤٧١هـ) تحقيق/ محمود شاكر، دار المدني، القاهرة ١٩٩١م.
- الاشتقاق (أبو بكر محمد بن الحسن ألأزدي) تحقيق وشرح/ عبد السلام هارون.

مكتبة الخانجي بمصر مطبعة الرسالة المحمدية ١٣٧٨هـ = ١٩٥٨م.
- الاشتقاق لابن دريد (أبو بكر بن محمد بن دريد بن الحسن بن العتاهية الأزدي البصري الدوسي ت ٢٢٣هـ = ٨٣٧م) تحقيق / عبد السلام هارون مؤسسة الخانجي مصر مطبعة الرسالة المحمدية ١٣٧٨هـ = م١٩٥٨.
- الاشتقاق فؤاد حنا التريزي، دار الكتب، بيروت ، ١٩٦٨م.
- الاشتقاق (دراسة نظرية وتطبيقية) د. محمد حسن حسن ط ١٤١٥هـ = ١٩٩٥م التركي للكمبيوتر وطباعة الأوفيست طنطا.
- الاشتقاق والتعريب عبد القادر المغربي، ط الهلال مصر ١٩٨٠م.
- الأصوات اللغوية د. إبراهيم أنيس مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة.
- الأعلام للزركلي (خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي ت ١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، ط ١٥ أيار/ مايو ٢٠٠٢م.

- بدائع الفوائد ابن القيم الجوزية (أبو عبد الله محمد بن أبي بكربن أيوب الدمشقي ت ٧٥١هـ) إدارة الطباعة المنيرية، مصر.
- البيان والتبيين للجاحظ (أبو عثمان بن بحر ت ٢٥٥هـ) تحقيق عبد السلام هارون ط٥ مكتبة الخانجي القاهرة ١٩٨٥م.
- تصدير د. إبراهيم أنيس لكتاب اللغة في المجتمع تأليف م . م لويس ترجمة د. تمام حسان ط عيسى الحلبي ١٩٥٩م.
- التصريف الملوكي لابن جني (أبي الفتح عثمان) تحقيق/ محمد بن سعيد النعسان ط ١، مطبعة التمدن الصناعية بمصر، ١٣١٠هـ = ١٩١٣م.
- التطور اللغوي التاريخي د . إبراهيم السامرائي، بيروت ، دار الأندلس ١٩٩٧م.
- التفكير اللساني في الحضارة العربية عبد السلام المسدي، الدار العربية للكتاب.
- تهذيب اللغة للأزهري (محمد بن أحمد الهروي أبو منصور ت ٢٨٢هـ – ٣٧٠هـ)، تحقيق أحمد عبد العليم البردوني مراجعة علي البجاوي الدار المصرية للتأليف والترجمة.
- الحضارة الإسلامية في القرن الرابع آدم متز ط ٤، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٣٨٧هـ= ١٩٦٧م.
- الخصائص لابن جني (أبي الفتح عثمان ت ٣٢٢-٣٩٢هـ) تحقيق / محمد أبو الفضل إبراهيم ط ٢ ١٣٧١هـ = ١٩٥٢م ،دار الكتب المصرية
- دائرة المعارف بطرس البستاني بيروت ، دار المعرفة ، د. ت.
- دراسات في فقه اللغة لصبحي الصالح ط ٩ مطبعة دار العمل للملايين بيروت ١٩٨١م.
- دلائل الإعجاز في علم المعاني عبد القاهر الجرجاني (علي بن محمد ت ٤٧١هـ) الموسوعة الشعرية، ق. م.
- دلالة الألفاظ د. إبراهيم أنيس ط الثانية الأنجلو المصرية ١٩٦٣م.

- دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث (دراسة تحليلية للوظائف الصوتية والبنيوية والتركيبية في ضوء نظرية السياق) د. عبد الفتاح عبد العليم البركاوي ط١، ١٤١١هـ= ١٩٩١م، دار المنار، بالقاهرة.
- الدلالة اللغوية عند العرب د. عبد الكريم مجاهد دار الضياء، عمان، الأردن.
- دور الكلمة في اللغة ستيفن أولمان ترجمة د. كمال بشر مكتبة الشباب ط ١٩٨٨م.
- ديوان البحتري (أبو عبادة الوليد بن يحيحي التنوخي الطائي ت ٢٨٤هـ) تحقيق/ حسن كامل الصيرفي ، دار المعارف، مصر ط الثانية.
- ديوان الحماسة البصرية علي بن أبي الفرج بن الحسن البصري تحقيق / عادل سليمان جمال مكتبة الخانجي ط ١ ١٤٢٠هـ = ١٩٩٩م.
- ديوان رؤبة بن العجاج تحقيق عبد الحفيظ السطلي مكتبة أطلس – دمشق.
- (ديوان شعر) لـ بدر شاكر السياب دار العودة، بيروت، ط٢،١٩٨١م.
- ديوان طفيل الغنوي كامل شرح الأصمعي تحقيق حسان فلاح أوغلي دار صادر بيروت ط١، ١٩٩٧م.
- ديوان لبيد بن ربيعة بن مالك العامري (ت ٤١هـ) دار المعرفة ط ١ ١٤٢٥هـ=٢٠٠٤م.
- الساق على الساق فيما هو الفارياق أحمد فارس الشدياق المكتبة التجارية ، مطبعة الفنون الوطنية، بمصر، بلا تاريخ.
- سر الفصاحة أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي ت ٤٦٦هـ، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- سر الليال في القلب والإبدال أحمد فارس الشدياق مطبعة العامرة السلطانية بالأستانة ١٢٨٤م.

- شرح أشعار الهذليين أبو سعيد الحسن بن الحسين السكري (ت ٢٥٧هـ) تحقيق / عبد الستار أحمد فراج . راجعه / محمود محمد شاكر مطبعة المدني، القاهرة مكتبة دار العروبة.
- الصاحبي في فقه اللغة (أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الرازي ت ٣٩٥هـ) تحقيق / السيد أحمد صقر ط ٣القاهرة ١٩٧٧م.
- الصوت اللغوي في القرآن محمد حسن الصغير ، دار المؤرخ ، بيروت ٢٠٠٣م.
- العباب الزاخر واللباب الفاخر (الحسن بن محمد الصغاني ت ٦٥٠هـ) مصورة بمكتبة مجمع اللغة العربية بالقاهرة عن نسخة المكتبة الملكية بالرباط.
- العقد الفريد أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي تحقيق / د. مفيد محمد قميحة دار الكتب العلمية ١٤٠٤، بيروت ، لبنان ، ط الأولى ١٤٠٤هـ = ١٩٨٣م.
- علم الجمال (قضايا تاريخية ومعاصرة) د. وفاء محمد إبراهيم، مكتبة غريب.
- علم الدلالة بيار جيرو ترجمة د. منذر عياشي دار طلاس –دمشق – ط١، ١٩٨٨م.
- علم الدلالة (أصوله ومباحثه في التراث العربي) منقور عبد الجليل اتحاد الكتاب العرب– دمشق –٢٠٠١م (نسخة إلكترونية) عن موقع اتحاد الكتاب العرب.
- علم اللغة العام د. كمال بشر دار المعارف مصر ط ٥ ١٩٧٩م.
- العين (أبو عبد الرحمن للخليل بن أحمدبن عمرو بن تميم الفراهيدي البصر ت ١٧٠هـ) تحقيق/ د. عبد الله درويش، مطبعة العاني، بغداد، ١٣٨٦هـ = ١٩٦٧م.

- غريب الحديث (أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي البغدادي ت ٢٢٤هـ) الهيئة العامة لشؤون المطابع تحقيق/ د. حسين محمد محمد شرف وعبد السلام هارون، ١٤٠٤هـ = ١٩٨٤ ط الأميرية القاهرة.
- غريب الحديث (أبو محمد عبد الله مسلم بن قتيبة الدينوري ت ٢٧٦هـ) مطبعة العاني، بغداد، تحقيق د. عبدالله الجبوري ط١، ١٣٩٧هـ.
- الفائق في غريب الحديث محمود بن عمر الزمخشري تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم دار الفكر.
- فصول في فقه العربية د. رمضان عبد التواب ط ٥ ١٤١٨هـ = ١٩٩٧م الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة.
- فقه اللغة العربية (دراسة تحليلية للكلمة العربية) محمد المبارك ط، جامعة دمشق، ١٩٦٠م.
- فقه اللغة العربية في الكتب عبده الراجحي دار النهضة العربية – بيروت – ط ١٩٧٤م.
- فقه اللغة وخصائصها أميل بديع يعقوب ط١ دار العلم للملايين بيروت لبنان ١٩٨٢م.
- فن الشعر إحسان عباس، دار صادر، بيروت دار الشروق – عمان – ط١ ١٩٩٦م.
- الفن والأدب لويس هورتيك ترجمة / بدر الرفاعي سلسلة الفكر العالمي، المجلس الوطني للفنون والثقافة والآداب، الكويت، ١٩٨٧م.
- في أصول النحو سعيد الأفغاني، مطبعة الجامعة السورية،١٣٧٠هـ = ١٩٥١م.
- في فلسفة اللغة كمال يوسف الحاج ، بيروت، دار النهار للنشر ١٩٦٧م.
- القاموس المحيط (مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي ت ٨١٧هـ) دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٥م.

- القلب والإبدال لابن السكيت (أبو يوسف يعقوب بن إسحاق ت ٢٤٤هـ) تحقيق / هفنر ضمن كتاب الكنز اللغوي في اللسن العربي، بيروت، ١٩٠٣م.
- الكتاب لسيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان ت ١٨٠هـ) ط١ المطبعة الأميرية بولاق ١٣١٧هـ.
- لسان العرب لابن منظور (محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين بن منظور الأنصاري ت ٦٣٠- ٧١١هـ) دار صادر بيروت ط٤، ١٩٩٤م.
- اللسانيات وأسسها المعرفية عبد السلام المسدي المطبعة العربية – تونس – ط ١٩٨٦م.
- اللغة العربية معناها ومبناها د. تمام حسان ط٤، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٣م.
- المثل االسائر في أدب الكاتب والشاعر لابن الأثير (أبو الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد الموصلي ت ٦٣٧هـ) قدمه وعلَّق عليه / د. أحمد الحوفي، ود. بدوي طبانة نهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة، القاهرة.
- المثل السائر المكتبة العصرية، بيروت، تحقيق/ محيي الدين عبد الحميد ١٩٩٥م.
- محاورة كراتيليوس أفلاطون ترجمة: عزمي طه السيد أحمد، عمَّان، وزارة الثقافة الأردنية ١٩٩٥م.
- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق / علي النجدي ناصف ود. عبد الحليم النجار، د. عبد الفتاح إسماعيل شلبي القاهرة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية لجنة إحياء كتب السنة ١٤١٥هـ = ١٩٩٤م.
- المختصر في أصوات اللغة العربية دراسة نظرية وتطبيقية د. محمد حسن جبل ط٥ مكتبة الآداب ١٤٢٩هـ = ٢٠٠٨م.

- مدخل إلى علم اللغة الحديث د. عبد الفتاح البركاوي، القاهرة ١٩٨٤م.
- المزهر في علوم اللغة وأنواعها (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين السيوطي ت٩١١هـ) تحقيق: محمد أحمد جاد المولى وآخرين دار إحياء العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه ، بدون تاريخ.
- المساعد على تسهيل الفوائد شرح ابن عقيل على كتاب التسهيل لابن مالك، تحقيق وتعليق د. محمد كامل بركات، دمشق، ١٩٨٠م ق (منشورات جامعة أم القرى بمكة المكرمة).
- المعجمية العربية على ضوء الثنائية والألسنية السامية مرمرجي الدومنيكي، مطبعة الأباء الفرنسسيين، القدس، ١٩٣٧م.
- المعجم الفلسفي جميل صليبا، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ١٩٧٩م.
- مغامرات لغوية عبد الحق فاضل، بيروت، دار العلم للملايين د. ت.
- مفتاح العلوم للسكاكي (يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي ت ٦٢٦هـ) ط، الأدبية بالقاهرة ، ١٣١٧هـ.
- مفردات ألفاظ القرآن الكريم للراغب للأصبهاني (حسين بن محمد بن المفضل ت ٥٠٢هـ) تحقيق/ نديم مرعشلي، دار الكاتب العربي. ١٩٧٢م.
- من أسرار اللغة د. إبراهيم أنيس ط٧، ١٩٩٤م مكتبة الأنجلو المصرية.
- مناهج البحث د. تمام حسان مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٩٠م.
- المنصف في شرح كتاب التصريف للمازني لابن جني. تحقيق / إبراهيم مصطفى ، وعبد الله أمين ط١، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر ١٣٧٣هـ = ١٩٥٤م.
- نحو التيسير (دراسة ونقد منهجي) أحمد عبد الستار الجوارحي مطبعة المجمع العلمي العراقي ١٩٨٤م.
- النحو العربي والدرس الحديث د. عبده الراجحي مطبعة دار نشر الثقافة ١٩٧٧م الإسكندرية.